المشروع القومى للترجمة

أقـدم لـك ...

ديكـارت

تأليف

ديف روبنسون وجودى جروفز

ترجمة

إمام عبد الفتاح إمام

المجلس الأعلى للثقافة

٢٠٠١

DAVE ROBINSON
CHRIS GARRATT

INTRODUCING :

Descartes

المقدمة

بقلم المترجم

" أقدم لك... هذا الكتاب! "

هناك شكوى عامة من غموض الفلسفة، والتباس أفكارها ومشكلاتها على ذهن القارئ العادي غير المدرب، ولقد كان هيجل يعترض على هذه الشكوى ويردها إلى عاملين أساسيين:

العامل الأول: فهو كسل الناس، ذلك لأنهم يتصورون أن الفلسفة ربما أنها علم «انسانى»، وعلم «عقلى» - فإن فى استطاعتهم أن يتفلسفوا وأن يفهموا الفلسفة دون أن يبذلوا أدنى جهد فى فهم الأفكار والمذاهب الفلسفية. وهذا خطأ شائع ! لأن الفلسفة كأى علم آخر لها مفاتيحها الخاصة، ومصطلحاتها التى تحتاج إلى جهد ودراسة، فلو أنك فتحت كتاباً فى الطب لوجدته عسيراً بالغ الصعوبة، طالما أنك لم تدرس المصطلحات الطبية الخاصة، بل «أنك لكى تصنع حذاء» ، فإن عليك أن تتعلم صناعة الأحذية، على الرغم من أنك تملك فى يديك القدرات الخاصة، وفى قدميك المقاس الخاص..»[1].

أما العامل الثانى الذى يجعل من الفلسفة علماً صعباً فهو أن الفلسفة تعنى الارتفاع من المحسوس إلى اللامحسوس أو المجرد أو الفكر الخالص، وهذا الارتفاع يحتاج من القارئ لكى يفهمه أن يبذل جهداً كبيراً، وذلك بسبب التصاقه بالاشياء المادية أو العالم المادى من حوله منذ طفولته الأولى.

وهذه السلسلة «أقدم لك ..» تحاول أن تتغلب على هذه الصعوبة الأخيرة، وأن تقوم بدور فعال فى تبسيط الأفكار الفلسفية عن طريق الصور، والرسوم، والأشكال التوضيحية التى تعبر عن الفكرة الفلسفية دون اخلال بمضمونها أو عمقها، استناداً إلى قاعدة فى علم

---

(١) قارن ترجمتنا لموسوعة العلوم الفلسفية لهيجل ص٥٠ مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦ .

النفس تقول : «أن أغلب الناس بصريون» أى أنهم يفهمون الفكرة عن طريق البصر (الأشكال والرسوم، والصور .. الخ) أسرع وأسهل من فهمها عن طريق السمع (المحاضرة، أو النقاش، أو برامج الاذاعة.. الخ)

غير أن السلسلة لا تكتفى بعملية التوضيح والتبسيط عن طريق الرسوم والأشكال المختلفة التى تعبر عن فكر الفيلسوف فحسب، بل أن المؤلفين يقدمان لك فلسفة ديكارت، أو أفلاطون .. الخ فى عبارة موجزة تنم عن فهم عميق للفيلسوف الذى يعرضان فلسفته. وتلك محمدة نحمدها لهما. وربما فعلا ذلك بطريقة ساخرة أحياناً لكنها فى الواقع تعمل على حفر الفكرة فى ذهن القارىء بحيث يصعب عليه نسيانها بعد ذلك. على نحو ما فعل كتابنا الحالى فى أحلام ديكارت.. وغيرها.

ومحمدة أخرى نحمدها لهما هى أنهما يربطان فكر الفيلسوف بما قبله من مذاهب فلسفية، بحيث يظهر هذا الفكر فى سياقه التاريخى، فإذا تحدثا عن الشك الديكارتى، مثلاً، حاولا أن يعرضا للشك منذ اليونان بقصد القاء الضوء على فكرة ديكارت أولاً، ثم بيان اختلافها عن الشك القديم ثانياً.

ومحمدة ثالثة هى أنهما يتحدثان عن «تراث ديكارت» ، وأثره فى الفلسفة الحديثة. ثم فى الفلسفة المعاصرة أو فى «عصر ما بعد الحداثة»، مما يكشف لك عن الدور الرائد الذى قام به الفيلسوف فى الفكر البشرى بصفة عامة.

غير أنه لا يفوتهما بعد ذلك كله من توجيه النقد إلى مواطن الضعف وابراز المفارقات والصعوبات التى تواجه ما يعرضان له من أفكار. ويقدم لنا ذلك قيمة منهجية كبيرة هى أنه لا يوجد مفكر ولا فيلسوف فوق النقد، بل ان النقد عملية بنائية هامة فى تقدم هذا الفكر.

وذلك كله يجعل قراءة هذا الكتاب، حتى بالنسبة للقارئ المتخصص متعة لا تقدر..

وأود فى النهاية أن أوجه جزيل شكرى إلى المجلس الأعلى للثقافة أو إلى أمينه العام الاستاذ الدكتور جابر عصفور لموافقته على ترجمة هذه السلسلة فى المشروع الرائد الذى يقوم به «المشروع القومى للترجمة» متمنياً له دوام التوفيق والنجاح فى اثراء الثقافة العربية.

والله نسأل أن يهدينا جميعاً سبيل الرشاد ،

امام عبد الفتاح امام

الهرم فى يناير ٢٠٠١

البداية الحديثة : ـ

يتفق الجميع على أن الفلسفة الحديثة بدأت مع ديكارت، لماذا نقول حديثة؟! لأن ديكارت أصرّ على أن يفكر لنفسه أكثر من مجرد قبول ما تعلمه فحسب. وبهذه الطريقة اعتقد أن بإمكانه أن يؤسس القواعد والأسس الفلسفية والرياضية لجميع المعارف البشرية.

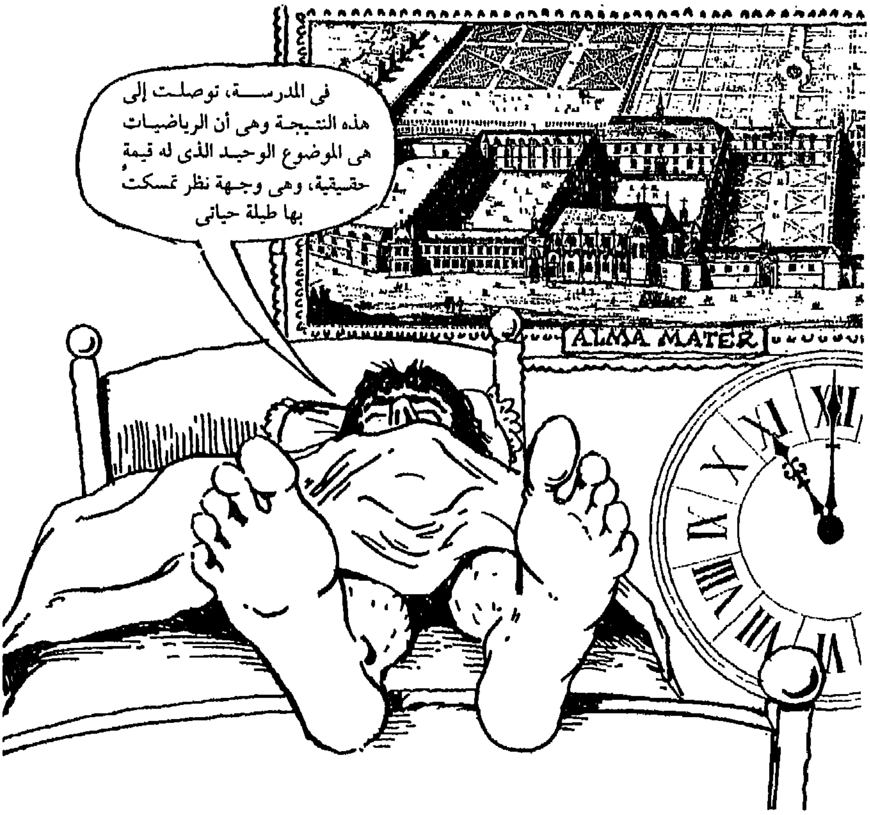
ـ وهو مطلب طموح تحول فى نهاية الأمر إلى رغبة ذاتية وشخصية جامحة.

وتشبه فلسفة ديكارت رحلة روحية يدعو فيها القارئ إلى الانضمام إليه ولطالما وعد ديكارت بأن هذه الرحلة سوف يكون لها نتائج غير عادية.



(الطفولة والشباب) : ـــ
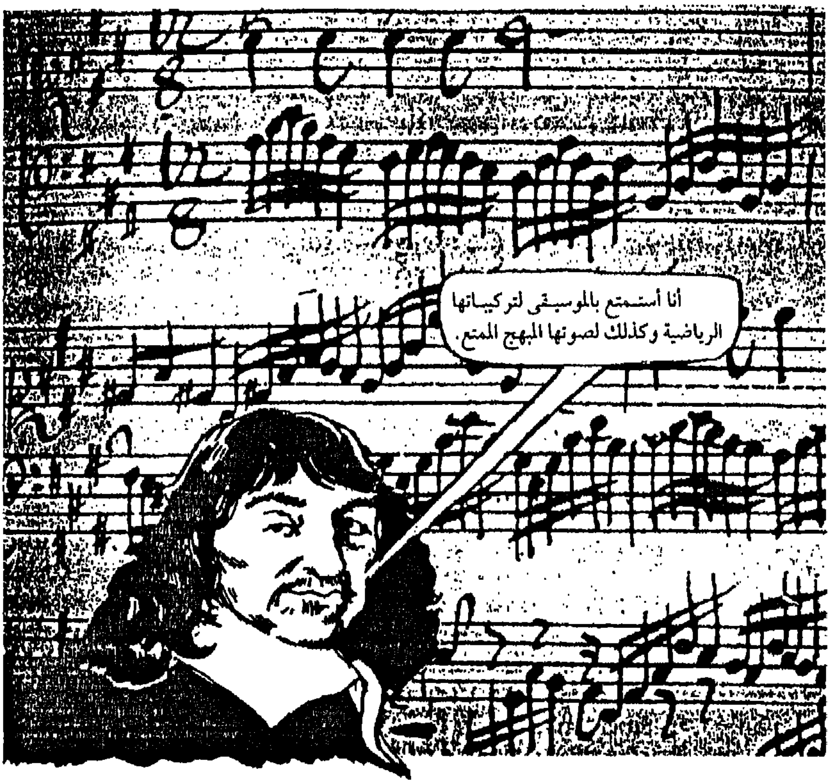
ولد رينيه ديكارت عام ١٥٩٦ فى لاهاى فى مقاطعة تورين فى فرنسا (حيث يطلق على هذه البلدة الآن اسم ديكارت) كان والده أحد النبلاء مما يعنى أن رينيه لم يتكبد عناء فى كسب رزقه. أرسل إلى مدرسة اليسوعين فى لافليش فى انجو. وفى هذه المدرسة الكاثوليكية تعلم اللغتين الإغريقية واللاتينية، كما تعلم الرياضيات والفلسفة الأسكولائية (المدرسية).



كانت صحة ديكارت ضعيفة ،ولذلك سمح له بالبقاء فى فراشه صباحاً حتى الساعة الحادية عشرة، وهى عادة ظل يمارسها حتى عندما بلغ سن الرشد. ولقد كان ديكارت دائماً يكرس بعض ساعات الصباح للتفكير العميق، وكان يخصص باقى اليوم للراحة والاسترخاء.

بعد مغادرته مدرسة «لافليش» بفتـرة قصيرة، ألّف ديكارت كتاباً بعنوان (فن المبارزة) تناول فيـه بالتفصيل التعليمات الأساسية للأساليب الفنية والاستـراتيجيات الضرورية للتغلب على الخصم. ولقد ذكر البعضُ أن ديكارت كـان مبارزاً جيـداً بنفس القدر الذى كان فيه فيلسوفاً جيداً حيث كان من الممكن أن يكون فارساً رائعاً.

كان أول عمل نُشر لديكارت هو رسالة صغيرة عن الموسيقى[1].



وفى نهايـة الأمر ذهب لدراسة القـانون فى جامـعة بواتيـيه University of Poitiers وبالرغم من تأهله لأن يصبح محامياً فإنه لم يمارس مهنة المحاماة على الإطلاق. وبدلاً من ذلك....

---

(١) كان عنوان الكتـاب «ملخص الموسيقى» وقد أهداه إلى صـديقه «إسحق بيكمان» الذي كـان ملهمه، وأول مَنْ أيقظه من خموله!! راجـع في ذلك د. نجيب بلدي «ديكارت» ص ٣٢ سلسلة نوابغ الفكر الغربي العدد رقم ١٢ (المترجم).

الجـنـدى : ـ

بدلاً من ذلك قرر ديكارت السفر والترحال ليرى أجزاء من العالم.



كان ديكـارت رجلاً ضئـيل الجسم ذى رأس وأنف كـبيـرين وصوت واهن ضـعيف وبالرغم من ذلك فقد أصبح جندياً وانضم إلى الجيش فى «موريس أوف ناسو» الهولندى، ثم التحق بـالجيش الألمانى بقيـادة ماكـسميلين مـلك بارفاريا. كانت أوروبا كـلها فى ذلك الوقت، تمزقهـا الصراعات التى سُـمِّيتْ باسم حرب الـثلاثين سنة (١٦١٨ ـ ١٦٤٨) ولم يكن ديكارت صالحًا للحياة العسكرية؛ لذلك انفـصل بالتدريج عن الحرب والسياسة وهو يقول: «أنا متفرج أكثر منى ممثل فى كوميديا الحياة».



وكان أحد أسباب ذلك التغيير أنه فى يوم ١٨ من نوفمبر لعام ١٦١٨ فى بلدة بريدا Breda فى هولندا أن ديكارت رأى لوحة إعلانات مكتوبة بالألمانية فسأل أحد المارة أن يترجمها له، وكان هذا الغريب هو «إسحاق بيكمان»، الذى أصبح فيما بعد صديقا حميماً لديكارت.



أحلام ديكارت الثلاثة :ـ

فى العاشرة من نوفمبر سنة ١٦١٩ وجد ديكارت نفسه محصورا فى بلدة نيورج أوان دانيوب الصغيرة، فقد كان جندياً غير متحمس إلا لمشاهدة حفل تتويج فرديناند الثانى فى فرانكفورت غير أن شتاء بفاريا كان قارساً مما اضطره لتأجيل رحلته «لقد أعاق الشتاء البارد رحلتى، فاحتجزنى فى غرفة لا يوجد فيها مَنْ أحادثه أو يُرفِّه عنى، لكنى كنتُ سعيد الحظ، فلم يكن عندى أية مشاعر أو مخاوف تؤرقنى، لذلك قضيتُ وقتى كله وحيداً فى غرفة دافئة مما أتاح لى حرية التفكير فى آرائى الخاصة، ومناجاة نفسى».



الحلم الأول والحلم الثانى :ــ

لقد غيَّرت الأفكار التى راودت ديكارت فى هذه الغرفة الدافئة التى تحيط بها العواصف الثلجية ـ غيَّرت الفلسفة الغربية كلها إلى الأبد، لقد كانت لديه سلسلة عجيبة من الأحلام الحية غير العادية.



وعندما استيقظ أمضى ساعتين كاملتين فى رعب حيث اعتقد أن هذه الرؤيا الغريبة قد رسخت فى ذهنه بفعل شيطان خبيث. ولم يكن حلمه التالى بمختلف عما سبق حيث سمع قصفاً مدوياً كالرعد ووجد نفسه مسجوناً فى غرفة مليئة بالنار والشرر.

الحلم الثالث :

ولحسن الطالع كان حلمه الثالث هادئاً بعض الشيء، فقد كان ينظر إلى مجموعة من الكتب بجوار فراشه، حيث كان هناك موسوعة ومجموعة مختارة من الشعر(١).



كان ديكارت دائما مهتماً بالرياضيات والعلوم، ولقد أوحى له آخرُ أحلامه أنه توجد هناك طريقة لتوحيد جميع المعارف الإنسانية: «لو استطعنا فقط أن نرى كيفية اتصال وارتباط العلوم بعضها ببعض، لوجدنا أنه من السهل الاحتفاظ بها فى عقولنا أكثر من سلسلة من الأعداد».

لقد كان دائماً شديد الإيمان بأحلامه وما تطرحه عليه من أسئلة واقتراحات. ولقد أصبح ديكارت من أهم فلاسفة عصره وأكثرهم تأثيراً بسبب تلك الليلة الغريبة فى تلك البلدة الغريبة الباردة(٢).

---

(١) فأعجب ديكارت ببيت لشاعر لاتيني اتخذه بعد ذلك شعاراً لحياته في المستقبل يتساءل فيه الشاعر: «أي طريق في الحياة أتبع؟» (المترجم).

(٢) اعتبر الحلمين الأولين بمثابة إنذار نهائي ضد حياته الماضية حتى اليوم. أما الحلم الثالث فهو رسالة من روح الله أرادت أن تكشف له كنوز العلم والحكمة (المترجم).

ـ ديكارت يستقر فى هولنده : ـ

تنقل ديكارت فى جميع أرجاء أوروبا وذلك فى الفترة من ١٦١٩ إلى ١٦٢٣، ولقد ادعى أنه تعرض لمحاولة اغتيال على أيدى بعض البحارة عندما كان فى فرايسلاند ولكنه أخافهم بسيفه. وفى عام ١٦٢٣ قام بزيارة دير للعذراء فى لوريتو [بإيطاليا] وذلك ليفى بنذر نذره بعد تلك الأحلام الحيوية الغريبة التى رآها منذ أربع سنوات خلت. ولكن فى عام ١٦٢٨ انتقل إلى الريف الهولندى، حيث أمضى ما تبقى من عمره هناك، وقد يكون السبب أنه فضَّل المجتمع البروتستانتى الأكثر تسامحاً فى هولنده أكثر من بلده فرنسا.

كان بإمكانى أن أعيش وحيداً منعزلاً كما لو كنتُ فى صحراء بعيدة غاية البعد، ففى أى بلد آخر، كان بإمكانى أن أستمتع بمثل هذه الحرية الكاملة؟!



فى عـام ١٦٣٥ أصبح ديكارت أباً، حيث كان قـد أقام من قبل علاقـة مع خادمته «هيلين» فى أمستردام، وفى تلك السنة جاءت الأم والطفلة ليقيما مع ديكارت فى منزله الريفى بالقرب من سانتبورت Santpoort.

ومن المحزن أن ابنته «فرانسين ..Francin» ماتت بالحُمّى القرمزية عندما كانت فى الخامسة من عمرها، ولقد أثّر هذا الحدث فى ديكارت بشكل عميق، ولم يرزق بعد ذلك بأى أطفال.



لقد ألفّ ديكارت أكبر أعماله شهرة بينما كان فى هولنده ومنها «مقالات فلسفية» (١٦٣٧) (التى احتوت على كتابين شهيرين هما «مقال عن المنهج»[١] «والتأملات»[٢] (١٦٤١) ـ ثم «مبادئ الفلسفة» (١٦٤٤)[٣].

---

(١) ترجمه إلى اللغة العربية محمود الخضيري، وصدرت منه الطبعة الثانية عام ١٩٦٨ عن دار الكاتب العربي للطباعة والنشر (المترجم).

(٢) ترجمه إلى اللغة العربية الدكتور عثمان أمين، وصدرت منه الطبعة الثالثة عام ١٩٥٦ عن مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة. (المترجم).

(٣) ترجمه إلى اللغة العربية الدكتور عثمان أمين، وصدرت منه الطبعة الثانية من دار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة (المترجم).

الاسكولائية Scholasticism (المدرسية)(١)

من الضرورى فهم الأحوال الخاصة بالفلسفة والعلوم التى تصدى لها ديكارت فى حياته، عندما وقف على مسرح الحياة العقلية فى أوروبا، فقد ظلت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية تسيطر على جميع الأنشطة العقلية لعدة قرون، وكان الباحثون فى ذلك الوقت يقضون أوقاتهم فى محاولة فهم الحكمة الخاصة بالمفكرين الكلاسيكيين القدماء مثل أرسطو (٣٢٢ ـ ٣٨٤ قبل الميلاد) من خلال التعاليم المسيحية، بدون محاول لاكتشاف معرفة جديدة.



(١) هي الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط وسميت بهذا الاسم لأنها كانت تدرس في مدارس ملحقة بالكنائس (المترجم).

ومن هنا كـان المنظور التقـليدى والمحـافظ بعمق للمـعـرفة هو مـا يُعرف عـادة باسم Scholasticism (الاسكولائية أو المدرسية) وكانت الفلسفـة المدرسية، أساساً، عبارة عن نسق ميافيزيقى كبير عن اللاهوت الذى يهتم بالاستنباطات المنطقية من العقائد المسيحية.

وكـان يطلق على ممارسـيهـا اسم رجـال المدارس (الاسكولائيين). وكـانوا فـلاسفـة أكـاديمـيـين وهـم فى العـادة من رجـال الدِّيـن. وكـان من أكـثـر هؤلاء تأثيـراً اللاهوتى الدومنيكانى القديس توما الأكوينى (١٢٢٥ ـ ١٢٧٤) والذى أصـبح فيما بعد ذا سلطة لا جدال فيها على أساطين الإيمان والعقل.



الأيام الأولى للعلم :ـ

لم يكن التفكير المبدع الأصيل يلقى أى تشجيع، وأما الأفكار الجديدة فهى تدخل خلسة تحت ستار التعليق على النصوص القديمة. وبسبب هذا الاحترام العميق للماضى استمر الباحثون فى الإيمان بعلوم أرسطو جميعاً، بغض النظر عن مدى سخافتها وعدم مصداقيتها. فأنت تكتشف المعارف بالتنقيب فى الكتب القديمة أكثر من النظر خلال التلسكوب فإذا قال أرسطو أن بإمكان ضفدع ا لجبل (العلوم) أن يعيش فى الهواء لم يفكر أحد أن يتكبد عناء البحث عما إذا كان هذا الأمر صحيحاً أم لا.



ولقد كان ديكارت شغوفاً لاكتشاف طرق جديدة وأفضل للوصول إلى المعرفة والحقيقة.

لقد كانت «المعرفة» فى زمن ديكارت مزيجاً غريباً من الحقيقة والخيال، من الأسطورة والغيبيات والعقائد الدينية والتخمين الأهوج. لقد كان العلم «فى عصر النهضة لا يزال يشمل علم التنجيم وعلم الخيمياء[1] وسيطرت عليه الأشكال النمطية والتشابهات. وكان بارسيليس (الطبيب السويسرى ١٤٩٣ ـ ١٥٤١) الذى قام باكتشافات مهمة جديدة فى العلاج الطبى لا يزال يؤمن كذلك بالسحر والتنجيم.



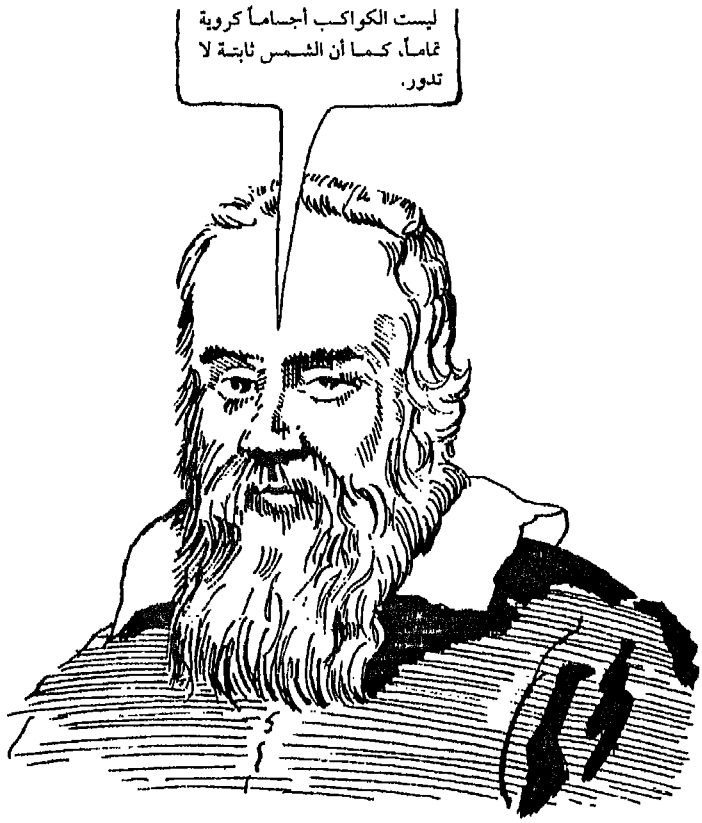
تأمل الجذر الساطيرى Satyrion[2] ألا يشبه فى شكله أعضاء الذَّكَر؟ عندئذ يكون السحر قد اكتشف أنه قادر على حل مشكلة رجولة الرجل وانفعالاته.

---

(١) Alchemy الكيمياء القديمة التي استهدفت، أساساً، تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب واكتشاف علاج لجميع الأمراض (المترجم).

(٢) نسبة إلى الساطير Satyr أحد الآلهة في الأساطير اليونانية ـ كان يتميز بالشهوانية والشبق الجنسي (المترجم).

في عام ١٦٢٧ قدَّم جوهانس كبلر (١٥٧١ ـ ١٦٣٠) تنبؤات دقيقة عن المدارات الأهليلجية للكواكب. وفي انجلترا البروتستانتية كتب فرانسيس بيكون (١٥٦١ ـ ١٦٢٦) كتاباً عن القوة الجديدة والاكتشافات المثيرة التي يقدمها «المنهج العلمي». وسرعان ما اكتشف العلماء «المحدثون» من أمثال «جاليليو جاليلي» (١٥٦٤ ـ ١٦٤١) أن قدراً كبيراً مما قاله أرسطو لم يكن سوى لغو فارغ.



وعلى الرغم من أن الكثير من هؤلاء الرجال الجدد كانوا «محدثين» في مواقفهم فإنهم بطريقة أخرى كانوا لا يزالون من أتباع «العصر الوسيط».

فلم يناقش واحد منهم أبداً مسألة وجود الله. (وكثيراً ما كان ديكارت يلجأ إلى الله دائماً بوصفه ضامناً لنظرياته الفلسفية).

كان معظم المفكرين العلميين العظام فى القرن السابع عشر مؤمنين بالمسيحية بالرغم من أنهم لم يكفّوا عن التساؤل عن الحقائق الأولية التى كانت تدعمها الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بغير هوادة. وفى أوروبا فى أوائل القرن السابع عشر كان لا يزال من الخطورة الاعتراض على نظريات الكنيسة، فذلك يستدعى محاكم التفتيش الرهيبة.

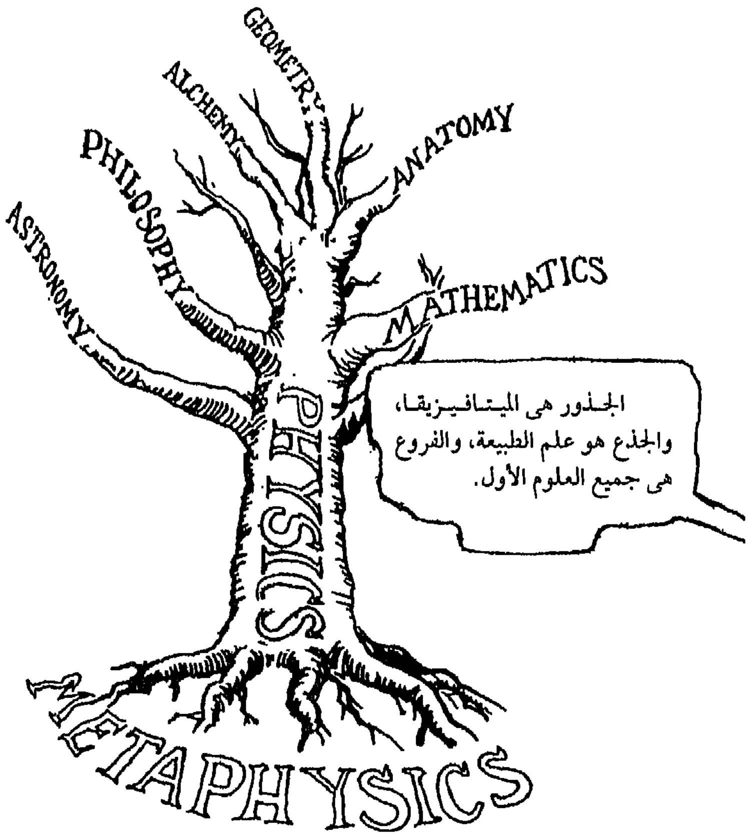
كان ديكارت فى عام ١٦٢٩ يؤلف كتاباً عن الظواهر الطبيعية أسماه (العالم) ذهب فيه إلى أن الشمس ربما كانت توجد فى مركز العالم. ولكنه فى عام ١٦٣٣ سمع عن اعتقال جاليليو فى إيطاليا بسبب اقتراحه الفكرة ذاتها، ولذلك فقد كان حكيماً فى تأجيله نشر الكتاب.



لقد أدرك ديكارت أن طرقه الجديدة فى التفكير من شأنها أن تتحدى عالم الاسكولائية الأكاديمى القوى، بل من الممكن أن تؤدى إلى إهماله بوصفه عفا عليه الزمان. ولكن كما قال (أنا أرغب فى العيش فى سلام والاستمرار فى الحياة التى بدأتها تحت شعار (ابتعد عن عيون الناس إنْ أردتَ أن تحيا سعيداً).

ــ ما المقصود بالعلم ؟ : ــ

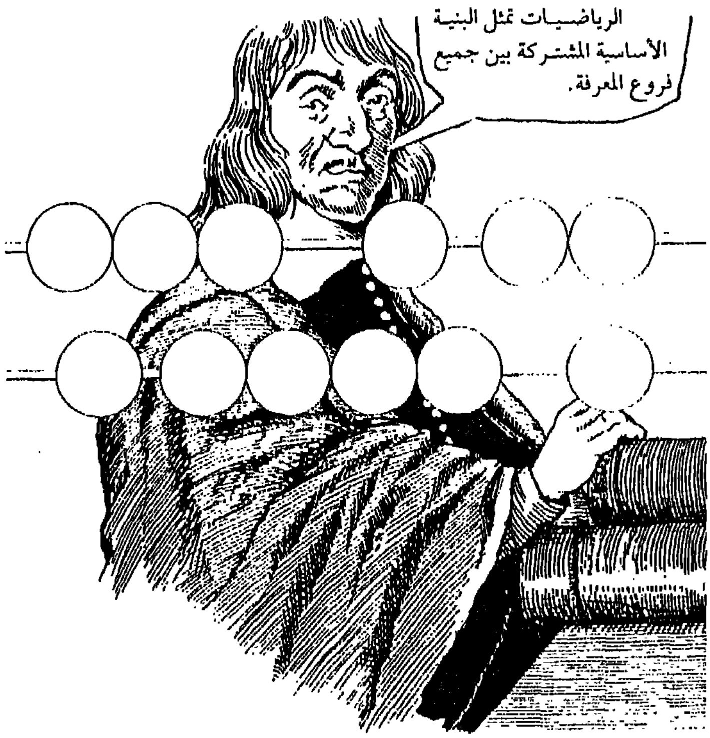
كان ديكارت يؤمن بوجود نوع جديد من الطرق العلمية النسقية. ولقد حاول توضيح ذلك بمقارنة المعرفة بالشجرة .



كان ديكارت يتلمس الطريق نحو نوع من النشاط الإنسانى المسمى حالياً بـ «العلم»، ولعل هذا هو السبب فى أن بعض المفردات التى استخدمها ديكارت تثير الارتباك عند القراء المعاصرين فكلمتا «Scienee» وفلسفة Philosopphy كثيراً ما لا يمكن التمييز بينهما، وقد تعنى جميع أنواع المعرفة التى لم نعد نطلق عليها الآن اسم «علمية»، ولم يضع ديكارت أى فروق صارمة كالتى نضعها نحن الآن بين العلم والفلسفة.

رد المعرفة إلى الرياضيات :ـ

كان ديكارت يأمل أن يبيّن أن هناك وحدة أساسية وراء جميع الفروع المختلفة للمعرفة . ولكن ما هى تلك الوحدة؟! وكان الاعتقاد الذى بدأ ينمو بين الفلكيين والعلماء هو أن الرياضيات أو الملاحظة المباشرة قد تكون هى المفتاح لفهم الكون أكثر من أرسطو أو الكتاب المقدس.



وهذه واحدة من أهم السمات الرئيسية فى العلم الحديث، والمعروفة باسم «مذهب الرد» Reductionisn، فهناك أنواع متعددة من الأشياء تمّ ردها، ومن ثّم تفسيرها، على أساس عدد أقل كثيراً من السمات الأساسية أو «الطبائع البسيطة» للواقع Reality.

---

(١) هذا ما كان يطلق عليه ديكارت أحياناً اسم «العلم العجيب» الذي يجمع بين الرياضيات والطبيعيات، وأحياناً أخرى اسم «المشروع العلمي»، وأحياناً ثالثاً اسم «الرياضيات الشاملة» التي تكشف عن الطبيعة في مجموعها ووحدتها (المترجم).

ديكارت العالم :

كان ديكـارت عالماً، إلى حد مـا، رغـم أنه لم يكن ناجـحاً أو مؤثراً جـداً، إذ أن بعض علومه ما زالت ذات قـيمة، فقـد كان ديكارت أول مَنْ نشر القوانين الأساسـية للانعكاس الضوئى (زاوية السقوط تساوى زاوية الانعكاس). ولكن الكثير من هذه القوانين تُعدّ الآن بالغـة الغربة. لقـد اعتـقـد ديكارت أيضاً أن كل مـادة تتألـف من جزيئـات صغـيرة قـابلة للقسـمة. وعنده أن كل مادة هى امـتداد (من طول، وعرض، وارتفاع) ولذلك فـإن وجود الفروع أو الذرات كان مستحيلاً.



ولم يكن لديه نظرية متماسكة عن الجاذبية، فإن الكون عند ديكارت كان عبارة عن دوامات أقرب ما تكون إلى دوامات المادة، وظل هذا النموذج للكون مقبولاً إلى أن جاء إسحاق نيوتن (١٦٤٢ ـ ١٧٢٧) فقضى على هذه النظرية، وقد أقام ديكارت كذلك فكرة كان لها أثرها عن الصفات الأولية والثانوية.



السبب أو العلّة :ـ

إن مساهمة ديكارت فى العلوم الطبيعية كانت نظرية أكثر منها عملية، فقد ساعد فى تغيير الطريقة التى كان يفكر بواسطتها العلماء فيما يتعلق «بالسبب» أو العلّة. لقد كان العلم الاسكولائى يذهب إلى أن لكل شىء سبباً غائياً يفسر كيف، ولماذا، تسلك الأشياء على هذا النحو.

ويقول الدكتور سبتيوس: أحد الباحثين الأرسطيين ١٢٧٣ ـ ١٣٠٨ كل شىء فى هذا الكون يتجه نحو وجهة غائية نهائية، ووظيفة العالِم هنا هى اكتشاف ما هى هذه الغاية.



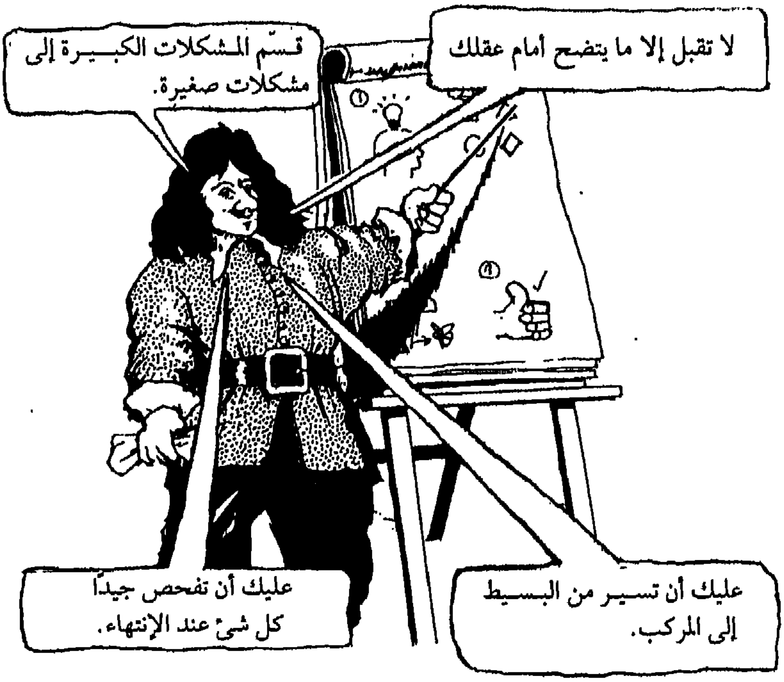
كانت وجهة نظر أرسطو فى الكون حيوية Animistic فالمغناطيس يجذب الحديد بسبب خواصه المغناطيسية. ولم يكن ديكارت مقتنعاً أو راضياً عن هذه التفسيرات الدائرية غير المقنعة، فالكون من وجهة نظره رياضى، وميكانيكى (آلى) وبالتالى يمكن التنبؤ به.

مقال عن المنهج :ـ

كانت مقالات ديكارت فى عام ١٦٣٧ عن البصريات، والآثار العلوية، والهندسة. وكانت هذه المقالات عبارة عن مقدمة لمقالات هى الآن أكثر أهمية وهى (بحث علمى عن طرق التوجيه الصحيح للعقل والبحث عن الحقيقة فى العلوم) (وهذا يعتبر تطويراً لأعمال سابقة لم تنشر) وهى قواعد لتوجيه العقل التى كُتبت عام ١٦٢٨ .

كان ديكارت يعتقد أن هناك طريقة من شأنها أن تُنظِّم البحث الإنسانى للمعرفة حتى يصبح أكثر نسقية ونجاحاً. لقد تضمن كتابه «مقال عن المنهج» جميع: «القواعد لتوجيه الذهن» التى نحتاج إلى اتباعها فى البحث العلمى، إذا أريد له أن يكون أكثر من مجرد خليط عشوائى من الحدس والتخمين. ومن هنا حاول ديكارت فى هذا الكتاب أن يبيّن كيف يكون من الممكن اكتشاف المعرفة الحقيقية فقط باتباع بعض القواعد الرئيسية.

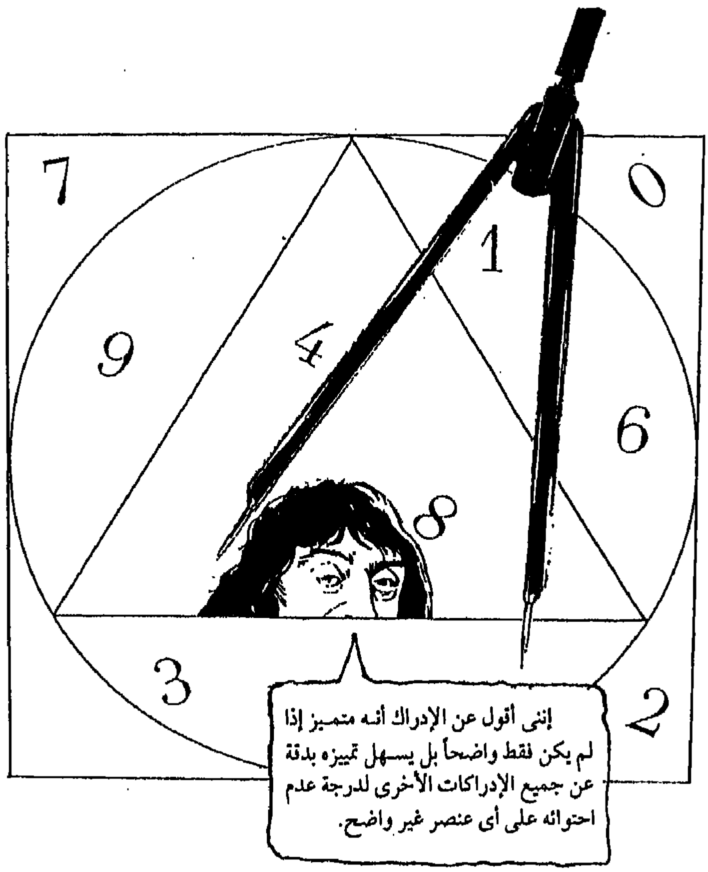
واعتقد ديكارت أن هذه القواعد يمكن أن تكون الأساس لنوع جديد من المنطق العلمى.



قواعد المنهج عند ديكارت

واضح أمام العقل :

من القواعد التى كان ديكارت يؤكدها باستمرار هى أن الأفكار الصحيحة يجب أن تكون «واضحة ومتميزة»، ويقصد بكلمة «واضحة» أن تكون الأفكار أمام العقل بمثل وضوح المواد المحسوسة التى نراها بالعين المجردة.



ويكون لهذا النوع من الوضوح العقلى المرئى معنى عندما نشتغل بالهندسة أو الرياضيات، فنحن نرى الأعداد الحسابية والأشكال الهندسية فى أذهاننا ولا يختلط الواحد منها بالآخر. وإذا تمكنا بشكل سليم من فهم ما نفعله فإن الرياضيات أو الهندسة ستكون صحيحة.

ما المقصود بالفكرة الواضحة :

لكن إذا طبقنا «قاعدة الوضوح» هذه على أنواع أخرى من المعرفة، فإن الأمر يبدو غامضاً ملتبساً وأقل نفعاً، فقد تكون لدينا أفكار واضحة ومتميزة عن جميع الأنواع من الأشياء ـ مثل أن الأرض مسطحة ، وأن الشمس تدور ـ غير أن ذلك لا يضمن أن نكون على صواب. فالمشكلة المتعلقة بكثير من الحقائق العلمية كثيراً ما تكون مضادة للبديهيات. وهذا معناه أن العلم كثيراً ما يسير عكس الاستنتاجات أو الحدوس المستمدة من الحس المشترك.



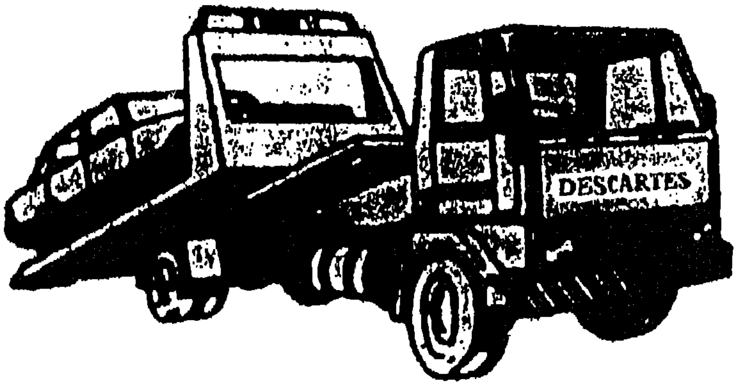
ويبدو أن ديكارت كان يعتقد أن المعرفة العلمية هى بالأحرى أشبه ببديهات الهندسة واستنتاجاتها. والمشكلة هى أن النظريات العلمية كثيراً ما تستمد من ملاحظة بعض الأنواع، وبالتالى فهى مؤقتة أكثر من غيرها. فإذا ادَّعى شخص أن جميع الضفادع برمائية (تعيش فى البر والماء)، فإن ذلك يرجع إلى معرفتنا الموجودة عن الضفادع وعن سلوك البرمائيات، وهما معاً تصوران يعتمدان فى النهاية على ملاحظاتنا للضفادع.



كان ديكارت يعتقد أن بنية العالم أساساً رياضية، ويمكن فى النهاية دراستها وفهمها على هذا الأساس.

الضرورة المنطقية والضرورة السببية :ـ

كذلك لم يكن ديكارت واضحاً في ذهنه تماماً التفرقة بين الضرورة المنطقية والضرورة السببية، فإذا قلتُ أن ٢ + ٢ من المحتم أن يكون مجموعهما ٤، فإن هذه الحتمية منطقية، أما إذا تحطمت سيارتك وقلت أنه لابد أن يكون هناك سبب لذلك، فإن هذه الحتمية مبنية على تجاربك السابقة بالسيارات. ولهذا فان هذه الحتمية سيكولوچية أكثر منها منطقية. وهذا اللبس أدّى بديكارت إلى الاعتقاد بأنك يمكن أن تكون لديك معرفة هندسية خالصة، وبالتالي معرفة ضرورية عن هذا العالم المادي.





هل تستطيع أن تعرف شمع العسل؟ : ـ

لم يعتقد ديكارت أن الملاحظة مضيعة تامة للوقت، ففحص العالم عملية مفيدة ـ لكن فقط للتأكد من أن النماذج الرياضية سليمة.

لقد ذهب ديكارت في إحدى الفقرات[١] إلى أنه ليس بالإمكان في الواقع، أن نعرف ما هو «شمع العسل» عن طريق الحواس وحدها؛ فأنت عندما تنظر إلى هذا الشمع تجده أحياناً جامداً وأحياناً أخرى سائلاً.

يقول:

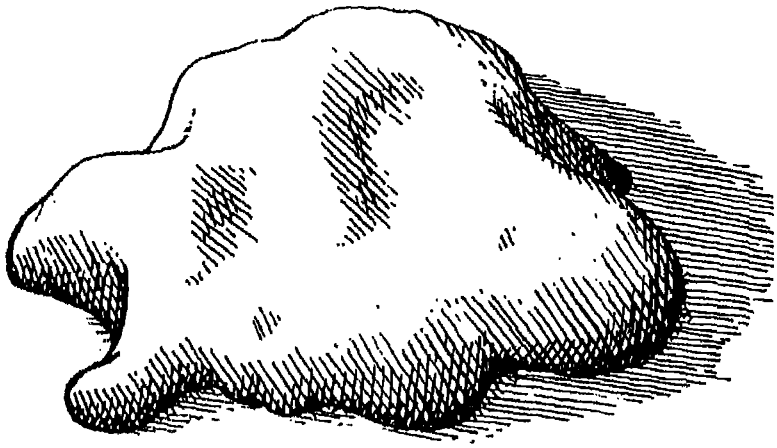
«... لنأخذ مثلاً هذه القطعة من شمع العسل، لقد أخذت لتوها من الخلية، فلم تذهب عنها بعد حلاوة العسل الذي كان فيها. وما زالت بها بقية من أريج الزهور التي اقتطفت منها، لونها وحجمها وشكلها أشياء ظاهرة للعيان. وهي جامدة وباردة ويسهل عليك أن تتناولها باليد، وإذا نقرت عليها خرج منها صوت، وعلى الجملة نجد فيها جميع الأشياء التي تجعلنا نعرف الجسم معرفة متميزة..»[٢].



(١) من كتابه «التأملات في الفلسفة الأولى» فقرة رقم ١٣ من التأمل الثاني (المترجم).

(٢) «التأملات في الفلسفة الأولى» ترجمة د. عثمان أمين ص ١٠٤ من الطبعة الثانية عام ١٩٥٩ (المترجم).

«ولكن ها هي ذي قد اقتربت من النار وأنا أتكلم، فماذا أشاهد؟ تتلاشى بقية طعمها وتذهب رائحتها، ويتغير لونها، ويذهب شكلها ويزيد حجمها، وتصبح من السوائل، وتسخن حتى يكاد يصعب لمسها ومهما تنقر عليها فلن ينبعث منها صوت أما تزال الشمعة باقية بعد هذه التغيرات! لابد من التسليم بإنها باقية..»[١].



ثم يسأل ديكارت بعد ذلك سؤالاً غريباً هو: كيف نعرف أنها هي نفسها قطعة الشمع..؟ لا يمكن أن يحدث ذلك عن طريق الحواس التي تعطينا معلومات مغايرة. وهذا يعني «أنني أعرف طبيعة هذه القطعة من الشمع لا عن طريق الخيال، بل عن طريق الإدراك العقلي الخالص، ... إنني الآن أعرف أنه حتى الأجسام، لا أدركها عن طريق الحواس، ولا ملكة الخيال، بل عن طريق العقل وحده..».

وقد يبدو غريباً إلى حد ما أن نقول: إن أحد أسباب هذه النظرة هو أن ديكارت يوصف بأنه فيلسوف عقلاني Ratianalist .

(١) المصدر السابق ص ١٠٤ ـ ١٠٥ (المترجم).

العقليون والتجريبيون : ـ

هناك ميل إلى تصنيف فلاسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر إلى عقليين أو تجريبيين. ويعتقد العقليون أن نوع المعرفة الوحيد الذي يمكن أن نثق به هو الذي يأتي عن طريق العقل الخالص. وهم ـ في العادة ـ متحمسون للأنشطة العقلية الخالصة مثل الرياضيات والمنطق، وينتقدون المعرفة التي نحصل عليها عن طريق أعضائنا الحسية غير الموثوق بها، ولا توجد عندهم تلك المعرفة التي تنتمي إلى الحواس دون العقل.



سوف يجد العقليون باستمرار مشكلة في إفساح المجال لأية معرفة عما هو العالم في حقيقته، تتعارض مع الضرورة، والادعاءات الأكثر غلواً المستمدة من الرياضيات والمنطق.

ولا يوافق الفلاسفة التجريبيون على ذلك، فهم يعتقدون أننا لا نستطيع أن نعرف العالم الخارجي إلا عن طريق حواسنا، إننا لا نعرف ما هي قطعة الشمع إلا برؤيتها، وليس بالتفكير فيها؛ فبعد استخدامنا لحواسنا نستطيع أن نشكل تصورات عن نوع الأشياء التي كنا ننظر إليها.



ويبدو أن المجادلات المملة بين العقليين والتجريبيين أصبحت في يومنا الراهن عقيمة ومجدبة، كما أصبح ادعاء ديكارت بأن هناك نوعاً واحداً فقط من النشاط العقلي، هو الذي له قيمة، ادعاءً دجماطيقياً أكثر مما ينبغي. ويبدو أن الأدنى إلى الصواب أن نقول: إن إدراكنا الحسي واستدلالنا يعملان معاً في ترادف ليشكلا مساراً متفاعلاً لإنتاج المعرفة.

غير أن نظريات ديكارت عن قطعة الشمع ليست هي التي جعلت منه فيلسوفاً مهماً، فهو معروف بشكل أكثر شعبية بأنه الرجل الذي يقول: إنه يستحيل معرفة أي شيء على الإطلاق ـ وهذا ما سوف نناقشه في القسم التالي.

تاريخ موجز عن مذهب الشك :ـ

منذ أن بدأت الموجودات البشرية في التحضر وطرح الأسئلة، كان هناك أشخاص مثيرون يطلق عليهم اسم «الشكاك Sceptics» يعتقدون أن البشر ليس في استطاعتهم أن يعرفوا أبداً أي شيء معرفة يقينية. فذهب هيراقليطس (حوالي ٥٠٠ ق.م) إلى أنه لا يمكن معرفة العالم تماماً لأنه دائم التغير.



أما أقراطليوس (٤٠٠ق.م) فقد كان أكثر تطرفاً. فقد قال:



كان أقراطليوس شاكاً للغاية في الكلمات، فاعتقد أن معناها يتغير في نفس اللحظة التي تخرج من أفواهنا لتصل إلى أسماع الآخرين، ولهذا بدلاً من الكلام كان يكتفي بتحريك إصبعه.

البيرونيون : ـــ

أول الشكاك العظام كان يطلق عليهم «البيرونيون» نسبة إلى بيرون Pyrrho الـذي ولد بمدينة اليس Elis (حوالي ٣٦٠ ـ ٢٧٢ ق.م) ولقد كانوا اثينيين تعلموا في أكاديمية أفلاطون في القرنين الثالث والرابع قبل الميلاد. وكان المفكر الروماني المتأخر «سكستوس امبريقوس» (٢٠٠ بعد الميلاد) ـ أشهر الشكاك والمتحدث باسمهم ونظراً لأنه أصدر كتاباً محدداً يعرض أفكارهم وحججهم. ولقد كانت الحجة الكبرى للبيرونيين حجة أخلاقية بالدرجة الأولى.



ولقد شرح سكستوس الحجتين البرونيتين الرئيستين اللتان تبنيان لماذا تكون المعرفة الحقيقية مستحيلة دائماً.

الحجج البيرونية : ـ

جميع الظواهر خداعة ومضللة ومن ثم فهي نسبية. وهذا يعني أن وجهات النظر المختلفة عند الناس لابد أن تتصارع بصفة مستمرة. فالحيوانات المختلفة ترى العالم بطرق مختلفة. ولا يوجد مبرر واحد للاعتقاد بأن الطريقة البشرية المنفردة لرؤية العالم هي الطريقة الصحيحة. وفضلاً عن ذلك فالموجودات البشرية ترى العالم بطرق مختلفة تبعاً لمن هو الشخص الذي يرى وأين يوجد.

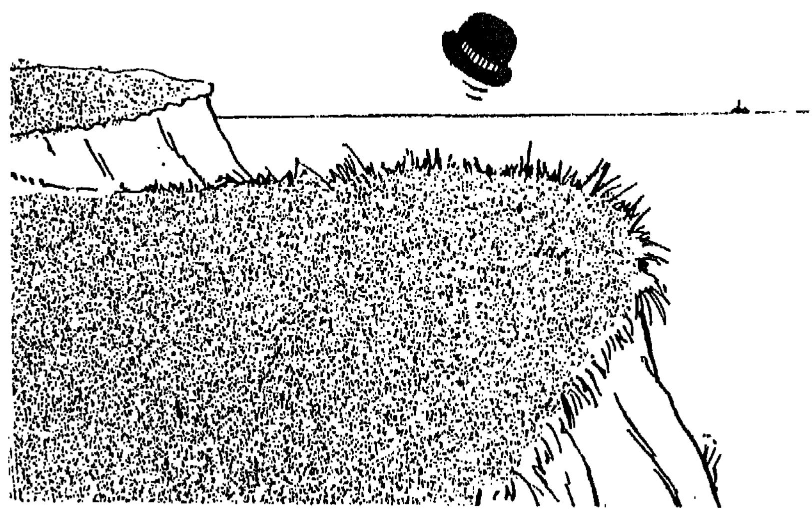


فهل السفينة كبيرة أم صغيرة؟ كيف يمكن لنا أن نعرف أي الرجلين أكثر صواباً؟ إن كل ما نستطيع أن نعرفه فعلاً هو أننا جهلاء.

والحجة الأخرى أكثر صعوبة وهي: أننا إذا ما قبلنا شيئاً ذات مرة على أنه معرفة فإن علينا عندئذ أن نعثر على برهان أو ضمان لهذا المعرفة، وهذا البرهان نفسه يحتاج إلى نوع ما من الضمان أو البرهان.. وهكذا إلى ما لا نهاية.

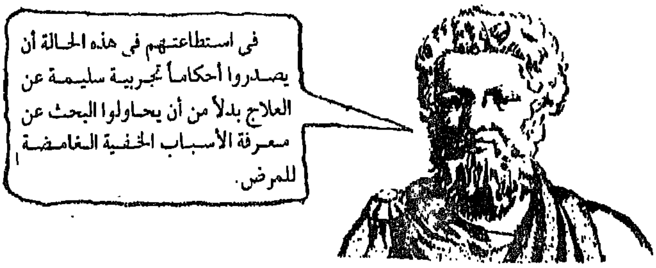


وإحدى المشكلات الواضحة عند الشُكَّاك هي أنه إذا لم يكن هناك معرفة، فكيف يدعون هم أنفسهم أن كل معرفة فهي وهم؟ والفيلسوف البيروني الذي يقول أنه كان أكثر سعادة بدون اعتقادات، فإنه بذلك يخدع نفسه: تخيل أن هذا الشاك يجلس على حافة جسر ملوِّحاً للسفينة الصغيرة عبر الأفق، فهو إذا لم يكن لديه أية اعتقادات على الإطلاق، حول وزن الجسم والجاذبية والأماكن الخطرة تسقط من فوق الجسر فلابد له أن يكون سعيداً لفترة أطول.

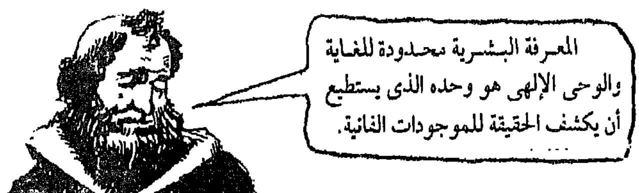


سكستوس والشكّاك الآخرون : ـــ

كان سكستوس أمبريقوس طبيباً أيضاً، ولابد أنه كان سيندهش من علم الطب الحديث. كما كان برجماتياً وشاكاً غير معتدل. كما كان يعتقد أنه لابد للأطباء أن يقودهم الانطباعات الأولى والتجارب الماضية.



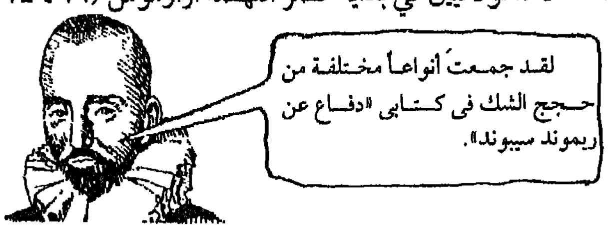
غير أن البيرونيين لم يشكوا أبداً في أن العالم المادي موجود بالفعل.



أحد آباء الكنيسة في بداية العصور الوسطى القديس أوغسطين (٣٥٤ ـ ٤٣٠).



أحد الاسكولائيين في بداية عصر النهضة ارازموس (٤٦٦ ـ ١٥٣٦)



ميشيل دي مونتي (١٥٣٣ ـ ١٥٩٢).

غيـر أن ديكارت كان أشـد راديكاليـة من هؤلاء جميعاً. فـفي كتـابه «التأمـلات في الفلسـفة الأولى» عـام ١٦٤١ ـ استـخدم الشك بقـوة وتشكك في كل شيء بغيـر هوادة ـ حتى يقين الرياضيات وكذلك وجود العالم المادي.



بدأ ديكارت يكتب كتـابه «التأملات» عام ١٦٣٩ حيث كـان يعيش حياة شـبه منعزلة في هولنده لمدة عشر سنوات. وهذا هو الكتاب الذي حقق له الشـهرة في النهاية، فـأصبح أحد الفلاسـفة المؤثرين في القرن السابع عـشر. والكتاب عبـارة عن تسجيل يوميـات حية لأفكاره على شكل ستة تأملات، من المفترض أن كل تأمل استغرق يوماً كاملاً.

الشك الديكارتي : ـ

كانت سمة مذهب الشك عند ديكارت فريدة لدرجة أنه يسمى في العادة «بالشك الديكارتي» كما أنه كان كذلك شكاً نسقياً هو أشبه «بالمنهج» من إعلان عن تقوى دينية.



(١) قارن «التأملات» ـ التأمل الأول ص ٧١ من ترجمة الدكتور عثمان أمين من الطبعة الثانية عام ١٩٥٩ (المترجم).

وفي خطاب أرسله إلى أحد أصدقائه يوضح له فيه منهجه الخاص في الشك كتب ديكارت يقول: ـ

«تخيل أن لديك مجموعة من التفاح تريد حفظها في سلّة. إن الرجل الحكيم لابد أن يتأكد أن جميع التفاح سليم. إذ لو كانت إحدى التفاحات معطوبة فاسدة، فسوف تُفسد في النهاية جميع التفاحات الأخرى. ومن ثم فإن أي تفاحة يكون فيها أدنى شائبة. لابد من استبعادها بلا هوادة على أنها لا تصلح». وهذا هو بالضبط ما يفعله الشك الديكارتي..



ومن الواضح أن «تفاحة» المعرفة التي تبقى في نهاية هذه العملية سوف تكون متميزة للغاية. وستكون من الشيء الحقيقي المضمون وهو المعرفة التي لا يمكن الشك فيها.

كيف نشك في كل شيء؟

سرعان ما تبين لديكارت أن الشك النسقي في كل جزء من أجزاء المعرفة عمل مستحيل، فإن عليه تكرار ومراجعة كل التجارب العلمية التي أجريت حتى الآن، وكذلك اختبار جميع الاستنباطات الرياضية التي تمت. وأن يزور جميع أنحاء العالم وأن يقرأ كل الكتب التي كُتبت... وهكذا.



إن معرفتنا بالأشياء المادية تأتي عن طريق الحواس الخمس، بينما معرفة أمور كالرياضيات والمنطق تأتي عن طريق العقل، فاختصر ديكارت الطريق وتساءل عما إذا كان يمكن الشك في هذه المصادر الأساسية نفسها.

الرؤية ليست هي الاعتقاد :ـ

يؤكد ديكارت أنه كثيراً ما لا يمكن الثقة في الأعضاء الحسية البشرية كمصادر للمعرفة الحقة. وعلى الرغم من أنه لم يشك أبداً في أن لدينا تجارب حسية، وليس لدينا طريقة لمعرفة أسبابها معرفة يقينية. فقد تسير مثلاً في مستنقع، وخلال الضباب، ترى رجلاً من بُعد .



فحواسك قد كذبت عليك.



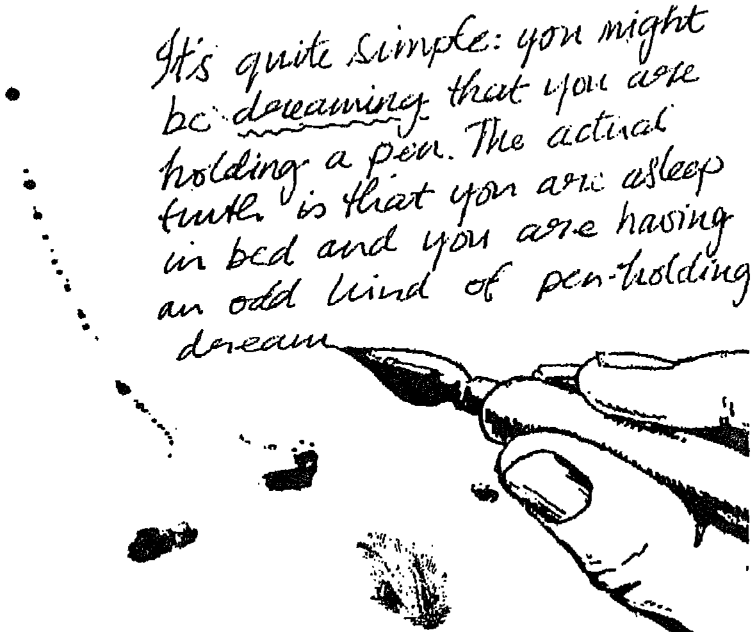
والمشكلة أنك لا تملك طريقة من طرق المعرفة موثوق فيها تحدد بواسطتها أي حاسة من الحاستين (اللمس أو الإبصار) هي الحاسة الصحيحة. ولم يذهب ديكارت إلى أن حواسنا باستمرار لا يمكن أبداً الثقة بها، فربما قدّمت لنا معلوماتنا الحسية بصورة تقريبية عامة ما الذيّ يوجد في العالم الخارجي، ولعل هذا هو السبب في أننا بقينا على قيد الحياة فترة طويلة كنوع بشري.

غير أن المعلومات التي تأتينا عن طريق الحواس يمكن الشك فيها، ولهذا لابد من استبعادها من سلة التفاح؛ فليس من الحكمة أن نطمئن إلى مَنْ خدعونا ولو مرة واحدة. وهكذا تصبح المعرفة الآتية عن طريق الحواس موضع ريبة.

الحلم : ـــ

لا يقضي معظمنا وقتاً طويلاً في تأمل السراب في الصحراء، أو مصاباً بالدوار بسبب الخداع البصري. ولو أنك أمسكت بالقلم في يدك ونظرت إلى الصفحة في ضوء النهار «وفي أفضل الظروف»، فكيف يمكن لك في هذه الحالة أن تكون على يقين أن المعلومات التي أتت إليك عن طريق الحواس صحيحة أو موثوق بها..؟ كيف يمكن لك أن تكون على يقين من أنك تمسك قلماً وليس شيئاً آخر..؟ إن حجة ديكارت الثانية ضد شهادة الحواس يطلق عليها في العادة اسم «حجة الأحلام».

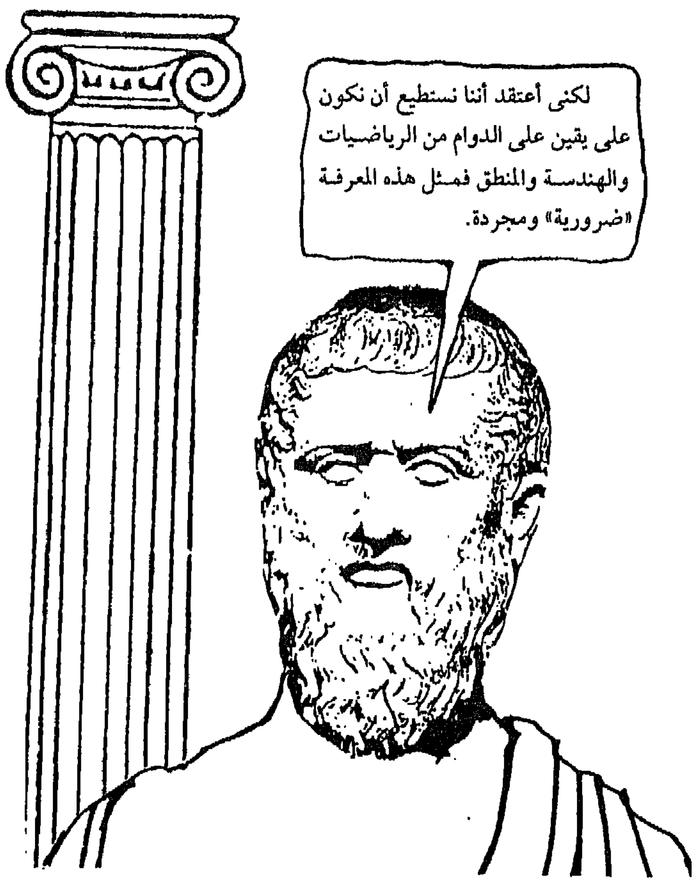
ببساطة شديدة يمكن أن تكون في حالة حلم، فتحلم أنك تمسك قلماً، وحقيقة الأمر أنك نائم في فراشك، وتحلم أنك تمسك بالقلم..



ربما لا يخطر بذهنك أن الأمر على هذا النحو، لكن هل يمكن لك أن تثبت أنه ليس كذلك..؟ يعتقد ديكارت أنك لا تستطيع أن تثبت ذلك. ليس هناك اختبار واحد واضح يبلغ من المعرفة والوضوح أن يشير إلى نوع الحالة الذهنية التي تخبرها في وقت معين. بل حتى ليس في استطاعتك أن تبرهن على أنك لا تحلم. وإذن فحتى التجارب القريبة التي تمر بها يمكن الشك فيها، وبالتالي لابد من حذفها من السلّة.

العقليون والعقل :ـــ

نحن نعرف أن ديكارت فيلسوف عقلي يؤمن بأن المعرفة الموثوق بها لابد أن تأتي عن طريق العقل، لا عن طريق حواسنا البشرية المشكوك في أمرها. ومن ثم فإن هجومه على الثقة في الحواس لا يدهشنا إلا قليلاً. لقد كان لدى أفلاطون (٤٢٨ ـ ٣٤٧ ق.م) أفكار مماثلة منذ ألفين خلت من السنين ،فذهب إلى أن المعرفة الوحيدة هي التي تأتي عن طريق العقل وهي التي يمكن أن تكون موضع ثقة واستقرار.



اثنان واثنان لابد أن يكون مجموعهما أربعة. ومن ثم فربما كان هذا النوع من المعرفة العقلية لا يمكن الشك فيه، وربما كان محصناً من تقويض الشك الديكارتي.

الشيطان الخفي : —

لكن ديكارت لا يوافق على ذلك. فحتى الرياضيات والمنطق يمكن الشك فيهما، وهو يذكرنا أننا جميعاً في العادة نرتكب أخطاء في الرياضيات. فكيف يمكن لنا أن نعرف أننا لا نقترف أخطاء كل الوقت؟



ولذلك فإن ديكارت يذهب إلى أن الجنس البشري ربما ارتكب ـ طوال التاريخ ـ أخطاء في الرياضيات. وربما كان ابتكار هذا الشيطان الخفي العجيب يمثل لحظة الشك الأخيرة اليائسة التي قام بها ديكارت. لكن المهم أنه حتى هذه المعرفة «المجردة» التي تأتي عن طريق العقل موضع شك أيضاً.

وعلى الرغم من أنه لا يوجد شخص عاقل يمكن أن يفترض وجود مثل هذا الشيطان العجيب، فإن أحداً لا يستطيع أن يبرهن على عدم وجوده.



وتتضمن النسخ الحديثة من حجة الشيطان الخفي مجموعة من قصص الرعب عن عقول وضعت في آنية فخارية تستثيرها أسلاك كهربائية أو يجذبها خيوط بشرية بصفة دائمة كما هي الحال في آلات العصر الفكتوري. ولو كانت حواسك باستمرار يمكن إثارتها ألكترونيا لتُحدث سلسلة كاملة من الخبرات البديلة في ذهنك، أو تجعلك تعتقد في رياضيات عجيبة ـ فكيف يمكن لك أن تعرف ذلك؟.

هل يمكن لحواسنا أن تكذب علينا ؟

وتبدو حجج ديكارت مقنعة للغاية لكنها لم تكن على الدوام مقبولة تماماً. فنحن لا نعرف أن حواسنا تكذب علينا إلا لأنها في النهاية تكشف عن الحقيقة. فنحن في نهاية المطاف نعرف أننا كنا نتحدث إلى عمود من الصخر وليس إلى إنسان، لأن أعيننا تخبرنا بذلك. غير أن ذلك لا يبطل حجة ديكارت.



ومع ذلك فنحن أمام حجة أشد عجباً مما قاله ديكارت، وفي استطاعتك أن تقول ليست حواسنا هي التي تكذب علينا وإنما تفسيرنا للمعلومات التي تقدمها لنا. فنحن نتوسط هذه المعلومات الحسية، فنحن نرى شكلاً طويلاً رمادي اللون فنستنتج عندئذ أنه رجل، فحاسة البصر لم تكذب علينا، لكن ما حدث هو سوء تفسير.

هل نحن في حالة يقظة أم لا؟

لكن أليس من الصواب أن نقول: إن المستحيل التفرقة بين خبرتنا للنوم واليقظة؟ ومن المحتمل أن ديكارت كان جاداً تماماً في هذه الحجة. فكثيراً ما كانت أحلامه الخاصة بالغة الوضوح والحيوية. وكثيراً ما كان يأخذها مأخذ الجد. لكن لابد أن يقول كثير من الناس أن تجربتنا في الأحلام يمكن التمييز بينها ـ بوضوح ـ وبين تجارب اليقظة.



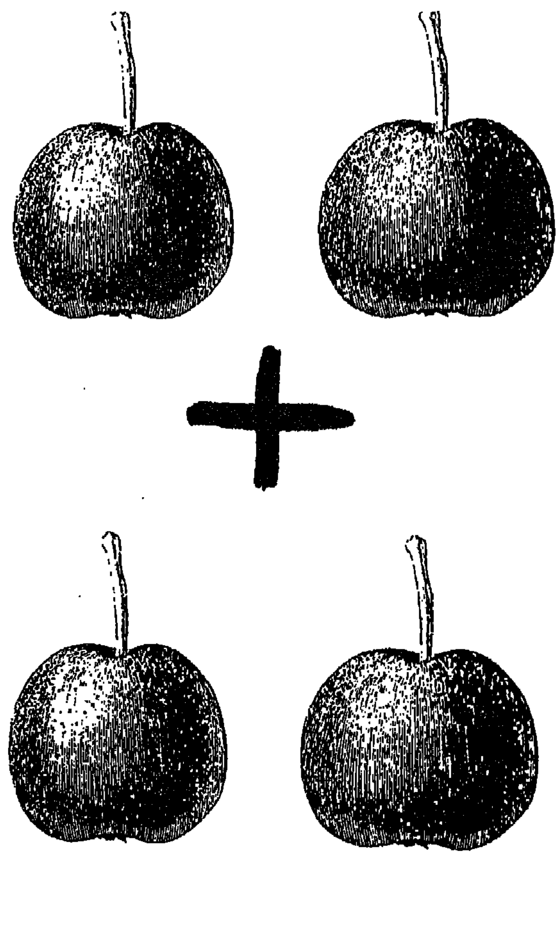
قد لا يكون هناك مقياس واحد واضح تقاس به الأحلام، لكن من المحتمل أن تكون هناك بدائل مؤثرات جيدة جداً عن قائمة بالمراجع.

لقد ذهب بعض الفلاسفة أيضاً إلى أنه ليس من الممكن الشك فيما إذا كنتُ نائماً حقاً عندما تكون نائماً بالفعل، ومن ثم فهناك شيء غير متماسك فى حجة ديكارت. وهناك فلاسفة آخرون وبعض علماء النفس لا يوافقون - فهم يعتقدون أنك تستطيع الشك فى أحلامك .



الشياطين الخفية : ـــ

والآن: ماذا نقول فى أمر «الشيطان الخفى»؟ هنا يؤكد ديكارت فيما يبدو مخاوفه من الشك. فربما كنا باستمرار فى حالة هذيان، وربما كانت حواسنا خاضعة لسيطرة شيطان خبيث خفى (مشغول إلى أقصى حد). لكن هل نستطيع جادين، أن نؤمن بأن الرياضيات هى خطأ من الناحية النسقية؟ إذا كانت ٢ + ٢ تساوى حقاً ٥ أو ٣ وليس أربعة، فكيف يمكن أن تكون هناك رياضة على الإطلاق؟ هذه الحجة ضد المعرفة العقلية تبدو أقل إقناعاً.



استحالة "اللغة الخاصة" :-

هناك شيء بالغ الغرابة أيضاً بالنسبة لهذا الشك الديكارتي الشامل. فديكارت يفترض باستمرار أنه توجد أفكار خاصة تماماً ومستقلة عن العالم من حوله.



لكن ما الذي كان يفكر فيه؟ إن أفكاره تتألف من كلمات إما فرنسية أو لاتينية. وهذه الكلمات هي أجزاء من لغة لها مجموعة من قواعد النحو، ولها معانٍ متعارف عليها، ومن خلفها مركب كامل من التاريخ والثقافة ولا يمكن الشك في أي من التاريخ الثقافي أو التاريخ اللغوي.

إن امتلاك أفكار شَكِّية خاصة فى رأس شكى خاص هو مشكلة أشد صعوبة مما تبدو، أن ديكارت يزعم أيضاً أنه مـدرك للحالات الذهنية «للمـعرفة»، و«الشك» و«اليقـين» وما إلى ذلك. ومن ثم فإن أى فـيلسوف يزعم أن شكه شامل فـإنه يبرز حقـاً قدراً من النصب. وهو ما أدركه ديكارت فى و قت مبكر.



ويعتـرف ديكارت باستـمرار أنه يقوم بـنوع خاص من اللعبـة الفلسفـية، وهو مجـرد تعليق مؤقت لمعتقداته. وعن طريق تعـليق بعض هذه المعتقدات فإنه كان يتمسك بالفعل بـبعضها الآخر وهى معتقدات أكثر تقدماً حول السبب الذى من أجله كان شكه المؤقت ضرورياً.

عـود إلـى الـسـلّة : ـــ

أوشك ديكارت أن يقنعنا أن سلّة تفاح المعرفة لابد أن تبقى للحظة قصيرة فارغة، فجميع معارفنا قد تكون فاسدة ـ من حيث المصدر ـ وقد لا تكون لكن ليس فى استطاعتنا أن نضمن أنها ليست كذلك. فحواسنا قد تكون كاذبة، وربما كنا فى حالة حلم أو أن شيطاناً خفياً لا نراه قد يحاول الإيقاع بنا ـ تلك هى النتيجة المتراكمة لجميع الحجج التى هى فى النهاية قوية ودامغة.



إذا كان ديكارت فيلسوفاً شاكاً حقاً، فلابد أن تنتهى فلسفته هناك ـ أى عند الشك أيضاً، ثم كان فى استطاعته أن يعود ليزرع الخضروات فى حديقته. لكنه ليس فيلسوفاً شاكاً حقيقة، فهناك تفاحة واحدة غير عادية خلّفها، وكان لها الحق فى أن تبقى فى السلّة.

التفاحة الأخيرة : "أنا أفكر، إذن، أنا موجود".

بمراجعة عملية الشك الصارم هذه اكتشف ديكارت فى النهاية شيئاً غير عادى، فقد أدرك أن هناك باستمرار شيئاً واحداً لا يمكن الشك فيه أبداً ـ وهو حقيقة أنه يشك أو أنه يفكر، فلا يمكن للتفكير أن يحدث فى الهواء بل لابد أن يكون هناك وعى أو ذهن هو الذى يقوم به. ومن ثم فلا يمكن لديكارت أن يشك أنه موجود أيضاً. ومن هنا جاءت مقولته الشهيرة: «أنا أفكر إذن أنا موجود ..Cogito, Ergo-Sum». أو ربما قلنا بدقة أكثر: هناك أفكار فلابد أن يكون هناك ذهن.



وعلى ذلك فطالما تحاول أن تتشكك فى الكوجتيو Cgito (أنا أفكر إذن أنا موجود) ـ حتى تجد نفسك ـ بشكل عجيب ينطوى على مفارقة ـ تؤكد هذه الحقيقة التى لا تعتمد على الحواس. وعلى نحو ملحوظ أكثر تجدها محصّنة أيضاً ضد ألاعيب الشيطان الخفى غير المرئى.



ففى استطاعة الشيطان، مثلاً، أن ينومنا مغناطيسياً ويجعلنا نعتقد أن لدينا أرجلاً وأننا الآن نسير، لكنه لا يستطيع خداعنا حول الشك. وأخيراً وصل ديكارت إلى امتلاك تفاحة لا يجوز الشك فيها تماما ليضعها فى السلّة.

ما هو الكوجيتو Cogito..؟

«الكوجيتو»[١] هو اكتشاف غير عادى وهو المبدأ الأول فى كل فلسفة ديكارت، وهو الذى أثّر فى كافة أنواع الفلسفة الحديثة، بالإضافة إلى الأدب، والفن، والعلوم الاجتماعية والدِّين. ولقد أقام جان بول سارتر (١٩٠٥ ـ ١٩٨٠) فلسفته الوجودية على أساسه. ولقد شغلت المسائل والقضايا التى أثارها العديد من الفلاسفة لعدة سنوات ولا يزال الأمر غير واضح تماما بخصوص ما هو «الكوجيتو» بالفعل على وجه الدقة.



لقد اعتقد بعض الفلاسفة أن الكوجيتو هو الاكتشاف الفعلى الحقيقى عن الموجودات البشرية والكون (فهو قضية «تركيبية»).

---

(١) الكوجيتو (Cogito) هو اختصار لعبارة ديكارت «أنا أفكر إذن، أنا موجود» التي هي اليقين الأول الذي وصل إليه نتيجة لعملية الشك (المترجم).

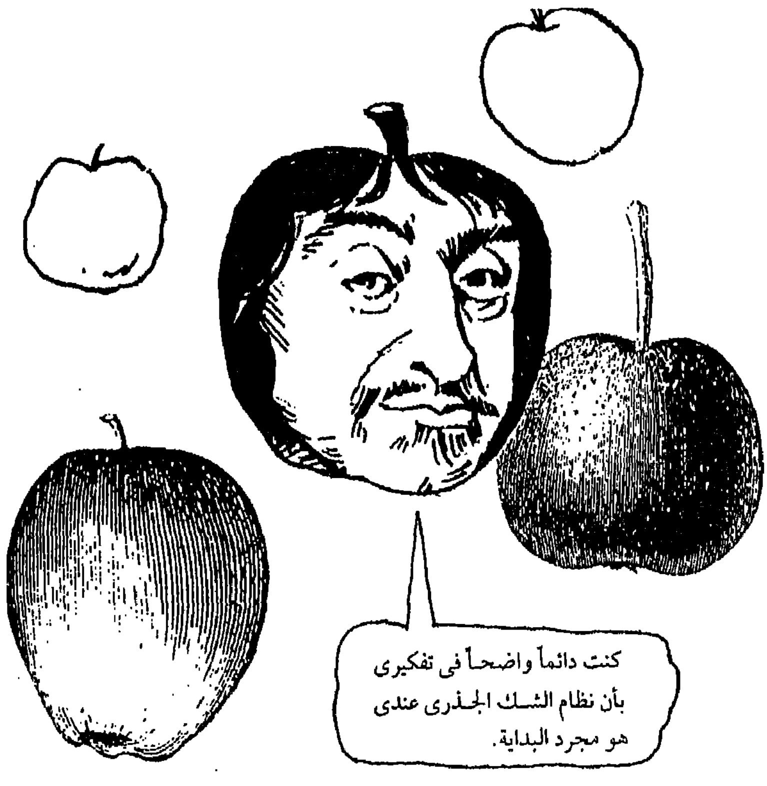
ويذهب بعضهم الآخر إلى أنه مجرد عبارة توضح المعنى وتربط التصورات بعضها ببعض مثل تصور «الفكر» و«الوجود» (فهو مجرد قضية تحليلية فارغة).



لكنه يظل واحدًا من أهم اكتشافات الفلسفة الغربية، وربما يحدد النقطة التى بدأت منها الفلسفة الحديثة وانتهت عندها الفلسفة الاسكولائية أو المدرسية (فلسفة العصور الوسطى) ـ كما أنه بدأ فرعاً من الفلسفة يطلق عليه الآن اسم «فلسفة الروح Philosophy of Mind» ـ والتى سنعود إليها فيما بعد ـ فى هذا الكتاب ـ بصورة أوضح.

مأزق الكوجيتو : ـ

لكن على الرغم من اليقين العجيب للكوجيتو. فيبدو أنه يؤدى إلى نهاية ميتة. فلو أنك مارست الشك أو التفكير فإنك تستطيع عندئذ، وفى هذه اللحظة أن تضمن وجود ذهنك أو أنك مدرك وواع، غير أن هذا النوع من المعرفة الخاصة المؤقتة ذات نفع محدود.



الكوجيتو اكتشاف فريد فذ، لكنه ليس المقصد النهائى لجهود ديكارت الفلسفية. لأنه كان أشد طموحاً، فقد كان يريد أن يكون على يقين من أمور أكثر من مجرد وعيه الذاتى الخاص، لقد أراد أن يعيد بناء أسس وبنية كافة المعرفة البشرية.

المعرفة العامة : ــ

يجب أن تكون المعرفة عامة بحيث يمكن أن يُقرأ عنها فى الكتب والصحف، وتُحفظ فى المكتبات. ومن المهم جداً أن تكون المعرفة العلمية يمكن تكرارها واختبارها وأن تكون ديمقراطية (أى شعبية) وإلا فسوف تظل لا شئ سوى معتقدات شخصية فى ذهن الفرد. ويقارن ديكارت اليقين المحدود للكوجيتو «بالبهلوان الذى يقفز لكنه دائماً يهبط على قدميه».



قاعدة الوضوح والتميز : ـ

وهكذا كان على ديكارت تحويل معرفة الكوجيتو الخاصة المؤقتة إلى شىء دائم وأكثر شعبية. ولقد شعر أنه إذا ما استطاع أن يكتشف ما الذى يجعل الكوجيتو يقينياً على هذا النحو، فإنه سيكون قادراً عندئذ أن يكتشف القاعدة العامة التى تقدم ضمانات مماثلة لليقين حول أنواع أخرى من المعرفة، فحاول أن يقدّم قاعدة عن طريق حجة على هذا النحو:



قاعدة «الوضوح والتميز» هى أول قاعدة فى كتاب ديكارت «مقال عن المنهج» التى تفيد الحيطة والحذر. وفى كتابه «تأملات فى الفلسفة الأولى» أصبحت أداة قوية لاكتشاف ما يعتقد ديكارت أنه سيمكنه من القفز فوق هذا اليقين الخاص المحدود إلى يقين أوسع وأكثر مرونة حول أنواع أخرى من المعرفة.

مشكلات قاعدة الوضوح والتميز : ــ

يشارك ديكارت كثير من فلاسفة القرن السابع عشر فى الرأى القائل بأن التفكير فى الأفكار الموجودة فى أذهاننا هو أشبه ما يكون بمشاهدة نوع من شاشة السينما الذهنية، فلابد لـلفكرة أن تصل إلينا بنفس الوضوح والفورية كالموضوعات التى تصل إلى أعيننا عندما نراها. إلا أن تفسير ديكارت لقاعدة «الوضوح والتميز» ليس هو نفسه واضحاً تماماً. إذ يبدو أنه يغير رأيه فى معناها وفى أهميتها أو الاعتماد عليها فى آن واحد. فهو يذهب فى كتابه «مقال عن المنهج» إلى أن هناك مشكلة أو صعوبة فيما هو «متميز»، ومع ذلك فإنه يؤكد فيما بعد فى كتابه «التأملات» «إننا لا يمكن أن نخطىء فى هذا الطريق». والوضوح والتميز مصطلحان نسبيان. فما هو واضح ومتميز بالنسبة لك قد يكون مُربكاً بالنسبة لى.



وهذا هو السبب الذى جعل ديكارت يدخل الإله فى هذه الفكرة.

الحاجة إلى الله :ـ

قبل أن يستطيع ديكارت أن يثق فى قاعدة «الوضوح والتميز» كان بحاجة إلى إزالة تهديد الشيطان الشرير، وأفضل طريقة لذلك هى استحضار إله لا يمكن أن يخدعنا أو يضللنا، ويضمن باستمرار أن تكون الأفكار الواضحة المتميزة التى ترد إلى عقولنا صادقة. فراح يقول أن لديه بالفعل فى ذهنه فكرة واضحة ومتميزة عن الله. وكانت أفكاره عن الله هى الأفكار اللاهوتية التقليدية والمعروفة عن موجود كامل لامتناه لا يتغير دائم الوجود.



الحجة "المسجلّة" : ـ

كثيراً ما تعرف حجة ديكارت باسم حجة «العلامة التجارية المسجلّة» فعندما ينتج مصنعاً ما سلعة معينة فمن المعتاد أن يضع «ماركته المسجلّة» عليها.



اعتقد ديكارت أن كافة الكائنات البشرية ولدت بمزيج غريب من الأفكار الفطرية بما فى ذلك تلك الأفكار عن الرياضيات، والنفس ووجود الله. وبعد ذلك اعتمد على المبدأ القديم والغريب للاسكولائية «مبدأ السبب الكافى» لتعزيز حجته. ويعتمد هذا المبدأ على مجموعة من المعتقدات الدينية.



الله موجود أيضاً، ولكن ليس بسبب «مبدأ السبب الكافى»، فالأفكار فى الذهن واقعية بطريقة مختلفة عن الطريقة التى تكون بها الأشياء أو الموجودات «واقعية» حتى الموجودات المقدسة. ويبدو أن بعض المعتقدات الاسكولائية القديمة كان لا يزال يصعب جداً على ديكارت التخلى عنه، ولقد كان مفكراً عظيماً وأصيلاً، لكنه كان ـ مثل معظمنا ـ نتاج عصره.

الدور الديكارتى : ـــ

غير أن الأمر السيء هو أن حجة ديكارت أصبحت الآن سيئة السمعة لكونها كما يقال: «دور ديكارتى». فديكارت يستخدم ما يريد البرهنة عليه كمقدمة من مقدماته. فليس فى استطاعتك أن تضمن قاعدة «الوضوح والتميز» من إله يقول الحقيقة إذا كنت تزعم بالفعل أنه موجود بسبب أن لديك فكرة واضحة ومتميزة عنه فى ذهنك. فإذن فديكارت يحتاج إلى الله ليضمن قاعدة الوضوح والتميز، ويحتاج إلى قاعدة الوضوح والتميز ليضمن أن الله موجود.



الدليل الوجودى على وجود الله : ـ

كان لديكارت أيضاً نسختـه الخاصـة من دليل اسكولائى آخر على وجـود الله؛ وهو المعروف بـاسم «الدليل الأنطولوجى» وتنسب فى العادة، الجـدارة لابتكار هذه الحجة إلى اللاهوتى القديس أنسلم (١٠٣٣ ـ ١١٠٩) ويسير الدليل على النحو التالى : ـ

١ ـ الله موجود كامل تماماً.

٢ ـ الكمال الشامل لابد أن يتضمن الوجود.

ولما كانت الأفكار أدنى من الأشياء الموجودة ـ تذكر ذلك؟

ولما كان الله موجوداً كاملاً، فأنه لا يمكن أن يظل فكرة أدنى ـ أيمكن ذلك؟

٣ ـ إذن فالله موجود.



أنسلم

ويختلف «الدليل الأنطولوجى» عند ديكارت عن ذلك اختلافاً طفيفاً، فـفكرته الواضحة المتميزة عن الله أنـه موجود كامل تماماً، ومن ثم فلابد أن يكون الله كاملاً تماماً.. وهكذا.

سلسلة من البراهين المكشوفة :

الدليل الأنطولوجى على وجـود الله ليس مقنعـاً، فأنت تحاول أن تضـع الله فى الوجود بطريقة سحرية من خلال طريقة تعـريفك لله، كما لو أن للكلمات القوة التى تجعل الأفكار واقعية.

ويريدنا ديكارت أن نقبل القول بأن معرفتنا للعالم الخارجى يوجد بها عيوب بل حتى أنها مجرد هذيان. ومع ذلك فهو فى الوقت نفسه يريد منا أن نقبل القول أن جميع الأفكار الواضحة والمتميزة صادقة وأنها ستكون مضمونة عن الله الذى تحاول أن تبرهن على وجوده سلسلة من «البراهين» المكشوفة»، فما كان ديكارت يعارضه أصبح مشكلة أساسية عند كافة الفلاسفة العقليين.



ـ «الحل» الذى يقدمه ديكارت هو أن الله خلق عنا وعن العالم.حقائق أزلية وإننا إذا ما أدركناها فى وضوح وتميز، فإنها بذلك تكون مضمونة.

ارتكاب الأخطاء: ـ

هناك مشكلة أخرى أمام ديكارت هى أنه إذا ما كان الله يضمن الأفكار الواضحة والمتميزة، فلماذا لا يزال الناس من ذوى الضمائر الحية يرتكبون الأخطاء..؟ كثير من الناس يعتمدون على كيفية النظر إلى قدرات البشر الكامنة،، فبعض الفلاسفة ـ مثل اسبنوزا (١٦٣٢ ـ ١٦٧٧) يعتقدون أن القدرة البشرية لامتناهية فى طاقتها بالفعل.





العقل ضد الإرادة : ـ

لديكارت نظرية عن السبب الذى يجعل الذهن البشرى على الدوام ذا قدرة محدودة. فنحن نصل إلى الإيمان بالأشياء ونصدر عنها أحكاماً بعد ممارسة نوعين من ملكاتنا: النوع الأول هو العقل، والثانى هو الإرادة. فقد تقرر عقولنا أن مجموع زوايا المثلث هى ١٨٠ درجة. ثم بعد ذلك علينا أن نختار الإيمان بذلك (أو تصديقه) أولا، بشرط أن نختار دائماً الأفكار الواضحة والمتميزة. عندئذ فإننا ـ فى نظر ديكارت ـ لا يمكن أن نقترف أخطاء.



إن حريتنا فى الاختيار هى نفسها لامتناهية وهى منّة من الله، وهى ـ إلى حد كبير ـ ما يجعلنا بشراً.

غير أن القوة الطاغية لهذه الإرادة الحرة هى السبب فى أننا كثيراً ما نقع ـ للأسف ـ فى الخطأ؛ ولما كنا موجودات بشرية، فإن لدينا ميولاً لممارسة حريتنا فى الاختيار بطريقة تجاوز حدود الأفكار الواضحة والمتميزة التى وصلنا إليها عن طريق الفهم. ولسبب ما فقد منحنا الله حرية شاملة وفهماً محدوداً.



بهذا التفسير تمكن ديكارت من التمسك بنظريته فى الأفكار الواضحة والمتميزة، وفى الوقت نفسه، من تفسير السبب الذى يجعل الموجودات البشرية تقع فى الأخطاء بصدد الأشياء طوال الوقت .

الاعتقاد زهيد الثمن :

لم يقدم ديكارت تفسيراً مقبولاً تماماً عن الخطأ البشرى. وربما يبدو عجيباً أنه يذهب إلى أننا نؤمن باستمرار بأشياء نفهمها. فإذا لم نفهم نظرية الكم، فكيف يمكن لنا أن نؤمن بها؟ يجيب ديكارت أن «الفهم» يعنى «الفهم التام». وقد نظن أننا فهمنا شيئاً ما، مع أننا لم نفهمه فالاعتقاد رخيص. إن الفهم الحق هو أقل تواتراً مما ندرك.



من الواضح المتميز لمعظم الناس أن التدخين يسبب سرطان الرئة، ومع ذلك فما زالت السجائر تباع!.

الاعتقاد والإيمان : ـ

عندما نتبيّن أن ٢ + ٢ = ٤ فإننا عندئذ ـ فيما يقول ديكارت ـ ندرك هذه العملية الرياضية على أنها فكرة واضحة ومتميزة؛ ثم نختار أن نؤمن بها أو أن نصدر عنها «حكماً». لكننا عندما ندرك أن ٢ + ٢ = ٤ لا يكون واضحاً ما إذا كنا نأخذ فكرة فى عقولنا أو نتخذ قراراً بصدد تلك الفكرة، فإذا ما أخذنا بأفكار واضحة ومتميزة فى عقولنا، فإننا عندئذ بطريقة ما، نتخذ بالفعل قراراً حول وضعها. فهناك شيء غريب حول ربط الاختيار بالاعتقاد بالطريقة التى قام بها ديكارت.



ويبدو كما لو أن ديكارت قد خلط بين الإيمان والاعتقاد.

رهان جيِّد : ـ

هذا الخلط بين الاعتقاد والإيمان كثيراً ما يشكل مشكلة عند ديكارت. فالاعتقاد يرتبط بالعقلانية والدليل. أما الإيمان فهو ليس بالفعل نوعاً من الاعتقاد، لكنه أكثر فعل من أفعال الإرادة. فلو أنك مثلاً كنت تظن أنه يمكن البرهنة على وجود الله، فلست بحاجة للإيمان به. ومن المعروف أن المفكر الفرنسي بسكال (١٦٢٣ ـ ١٦٦٢) ذهب إلى أنه من المعقول أن نختار الإيمان بوجود الله، وهو ما يعرف باسم «رهان بسكال».



لكن هل هذه المقامرة مثال على الاعتقال أو الإيمان؟

يعتقد ديكارت أنه فى القسم الرابع من كتاب «التأملات» ثبّت قاعدة لتأسيس الحقيقة، وجعل وجود الله مشروعاً، وبرهن على وقائع وعيه ووجوده، وفسَّر السبب فى أن الموجودات البشرية تقع فى أخطاء، وذهب إلى أن الله هو الضامن لحقائق خاصة معينة.



حياة هادئة فى هولنده: ـ

عندما كان ديكارت يكتب فلسفته احتاج إلى هدوء وسكينة تامة. كما أنه ازداد ملله من أشخاص بعينهم حاولوا توريطه فى أنواع مختلفة من المجادلات الدينية. ولهذه الأسباب الوجيهة لم يشأ أن يعرف كثير من الناس محل إقامته فى هولنده. فتنقّل مرات عديدة، وطلب أن يذهب بريده مباشرة إلى منزل صديقه «مرسين».



نجح أحد الأشخاص - ديدعى «سوربير» - فى اقـتفاء أثره، عندما أنفق وقتاً طويلاً فى التجوال فى أوربا، فـقد كان من النوع الذى يهوى جمع أنبـاء المثقفين، فوصل بغـير سابق إعلان إلى محل إقامة ديكارت فاستقبله بأدب جم. وقد وصف الرجل حياة ديكارت على النحو الآتى :-



كان ديكارت فى منتصف عمره يضع شعراً مستعاراً صُنع خصيصاً فى باريس، وكان لديه عندما توفى أربع مجموعات من هذا الشعر المستعار. كما كان أنيقاً فى ثيابه يختار عادة ارتداء اللون الأسود ، وكان يحمل سيفا إذا ما ارتحل إلى مسافة بعيدة كما كان يعيش حياة بسيطة للغاية تتناسب مع رجل مهذب.



كان طبقه المفضل هو «الأومليت»، وهو مؤلف من بيض كان يصر أن يكون عمره ١٠ أيام على الأقل.



وعلى الرغم من قيامه بالتمرينات الرياضية كل يوم، فقد كان يقضى اثنتى عشرة ساعة على الأقل فى الفراش، حيث كان يقوم بمعظم تفكيره وينجز بعض كتاباته.



وقد اعتبر جسمه آلة جيدة الصنع تقوم بعملها على أكمل وجه إذا مارست التمرينات الرياضية وتُركت لوسائلها الخاصة.



كان لدى ديكارت قليل من الخدم، وكان باستمرار كريماً معهم، وأحياناً كريماً مع الأغراب. وفى أحد الأيام وصل صانع أحذية فقير يُدعَى «ريمرانتس» إلى قصره الواسع فى اندجست وطلب رؤية الفيلسوف الشهير، لكن الخدم طردوه مرتين دون أن يخبروا سيدهم بذلك. وتصادف أن سمع ديكارت بهذه الواقعة، فسمح له بمقابلته وأدار معه مناقشات فلسفية طويلة.



كـان ديكارت يكتب الخطابات عـلى كره مـنه، فهـو يكتـب عدة خطـابات كل ليلة، وخطاباً طويلاً كل أسبـوعين لصديق طـفولته «مرسـين». فقد كـان يراسل أناساً معـروفين وآخرين مغمورين فى كثير من القارات المختلفة، وكان يصر على أن أسلوب كتابة الخطاب لابد أن يكون بسيطاً وواضحاً ومتميزاً فى كـل مرة كما كان يعتقد أنه لابد أن يكون للأدب انتشار أوسع وأن أحرف الهجاء فى الكلمات ينبغى أن تعكس الطريقة التى تُنطق بها.

ولقد عبَّر ديكارت أكثر من مرة عن رغبته فى وجود لغة عامة وشاملة.



وكان يعتقد أيضـاً أنها فكرة جيدة أن تُبتكر لغة فلسفية خـاصة يكون من الممكن معها أن نفكر بوضوح باستمرار.

تأملات فى الإدراك الحسى : ـ

فى التأملين الخامس والسادس يتساءل ديكارت عما إذا كان من الممكن استعادة اللغة التى اكتسبناها من خلال الإدراك الحسى. كما اعتقد أننا الآن يمكن أن نكون على يقين من بعض الأفكار الرياضية. لكن ما هو نوع المعرفة التى يمكن أن نحصل عليها من العالم الخارجى ـ خارج عقولنا؟ كانت تلك مشكلة أمام ديكارت وكافة الفلاسفة العقليين.



الأفكار الواضحة والمتميزة هى عوامل محددة ومقررة ـ فهى تصف «ماهيات» الأشياء لكنها لا تساعدنا لمعرفة ما إذا كانت هناك أى فرصة لرؤيتها.

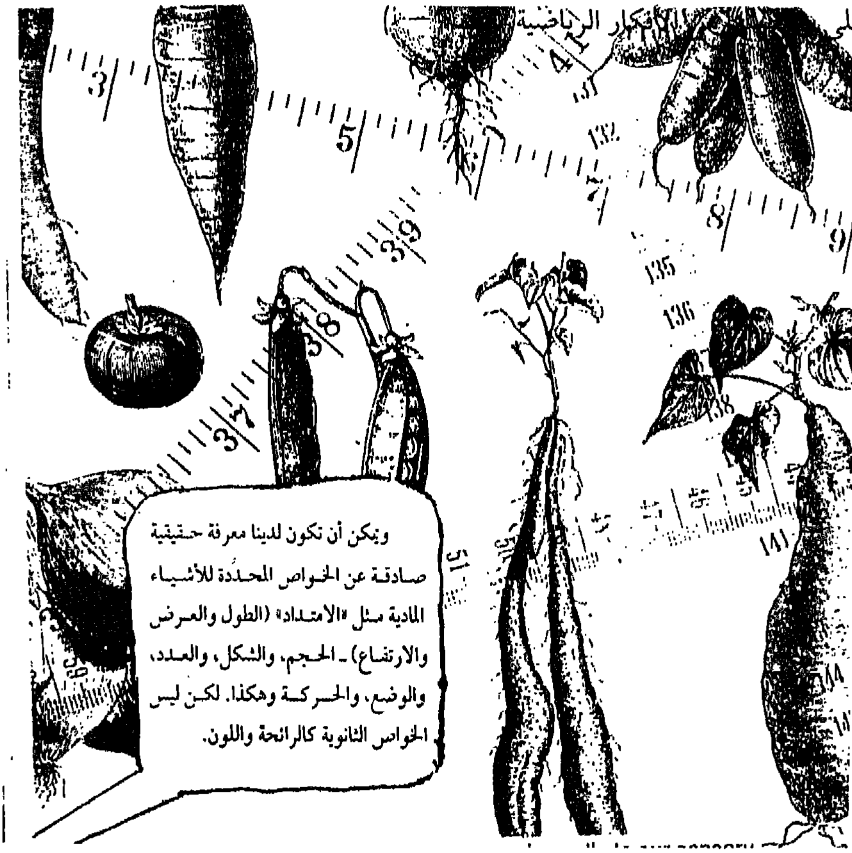
كان ديكارت سـعيداً جداً باعـترافه أن لدينا تجـارب حسية، لكنه أكَّـد أننا لا نمر بهذه التجارب الحسية أبـداً على نحو مباشر فقد كان فيلسوفـاً «واقعياً تمثلياً» يؤمن بأننا لا ندرك العالـم حسياً إلا على نحو غير مباشر من خلال الصور الذهنية الداخلية أو الأفكار.



ولكن إذا كان الله هو الخير، فلماذا يزودنـا بحواس هى غير مباشـرة على هذا القدر وغير موثوق بها..؟ فماذا كان جواب ديكارت عن هذا السؤال.؟

استحضار الإله مرة أخرى : ـ

كان جواب ديكارت عبارة عن تسوية أو حل وسط، يعتمد على الالتجاء إلى الله من جديد، لقد كان مقتنعاً بأن الأفكار الواضحة المتميزة هى على الأقل، وهى تدخل إلى أذهاننا عن الأشياء المادية لابد أن تعكس شكلاً ما للواقع الخارجى، فلو كان لدينا بعض الأفكار الواضحة المتميزة عن العالم. عندئذ فإن الله سوف يضمن أن تتطابق هذه الأفكار مع «ما هو موجود هناك» بالفعل. غير أن الأفكار الواضحة والمتميزة الوحيدة التى نحن على [illegible] الأفكار الرياضية (



قد لا تتطابق موضوعات العالم بدقة مع انطباعاتها الحسية عنها. ولذلك فهى ضرب

من التسوية أو الحل الوسط. فقد يضللنا الإله بعض الوقت فحسب

اليقين الرياضى : ـ

تلك هى التى برهن عليها ديكارت بعد أن فحص قطعة شمع العسل. عندما تبدو صلبة بل حتى يمكن أن نسمع الصوت الصادر عن نقرها. وعند تسخينها تصبح سائلاً بلا صوت. ولما كانت «جسماً» فإننا نكون على يقين أنها «ممتدة» ـ حتى برغم أنها موضوع ذو ثلاثة أبعاد.



ويبدو ذلك اعتقاداً غريباً ـ أن تعرف ما هو الشكل الخالص لقطعة الشمع من ممارسة الذهن وحده فى استقلال عن الحواس، وقد تكون الفكرة التى وصل إليها فكرة علمية جيدة، رغم أنها البنية الرياضية التحتية للأشياء التى تزودنا بالحقيقة الواقعية عنها. غير أن القول بأن المعرفة الحقيقية لابد أن تكون معرفة رياضية ـ كما هو دائم وثابت ـ ليست

جديدة على ديكارت ، على نحو ما سنرى فيما بعد.

الرياضيات اليونانية القديمة : ـ

كان اليونانيون القدمـاء هم أول مَنْ أدرك أن للأعداد، فيما يبدو، حياة عجـيبة خاصة بها، وكان فيثاغـورس (٥٠٠ ـ ٥٥٠ق.م) هو أول مَنْ أدهشته هذه الأعداد حتى أنه ينبغى عبادتها!.

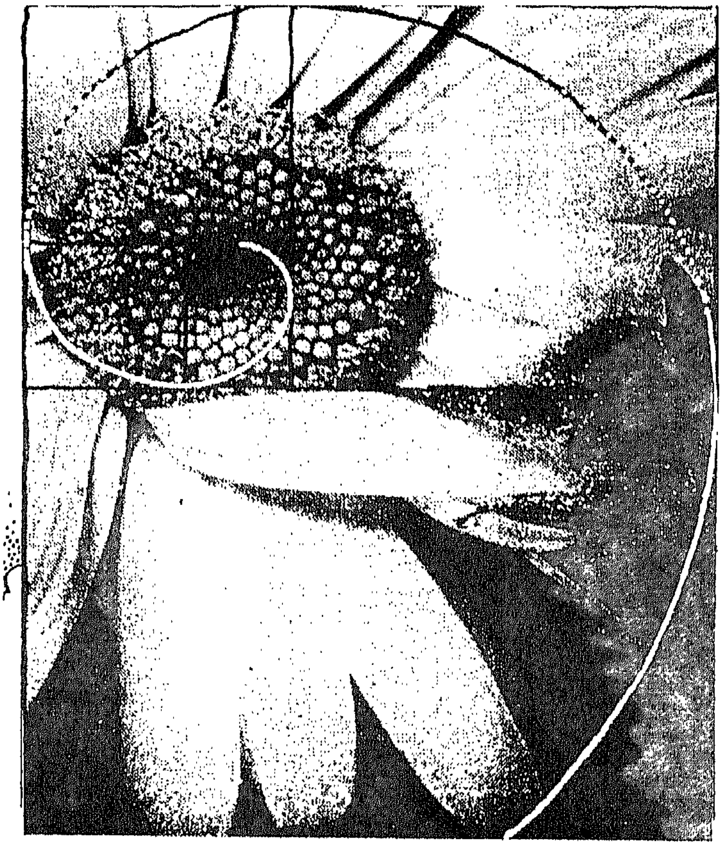


هناك رياضـيـون «أفـلاطونيـون» يمـيلون إلى الاتفـاق مع رأى أفـلاطون القـائل بأن

هل بنية الكون رياضية .؟

يبدو أن الطريقة التى تبرز بها الحرف اليونانى «باى Pi»(١) على نحو غير متوقع كحرف ساكن فى كافة أنواع المشكلات الرياضية العملية التى تشير إلى أن الرياضيات مطمورة فى العالم المادى بطريقة ما.

فزهرة عباد الشمس وكوز الصنوبر يتبعان الأعداد الفيبونشية Fibonacci (١، ٢، ٣، ٥، ٨، ١٣، ٢١، ٣٤ ... إلخ).



بل حتى الأشياء الفوضوية العشوائية فى ظاهرها. كالسحب تتبع النماذج الكسر الهندسية. فيبدو أن الرياضيات شاملة.

(١) هو الحرف السادس عشر في الأبجدية اليونانية (المترجم).

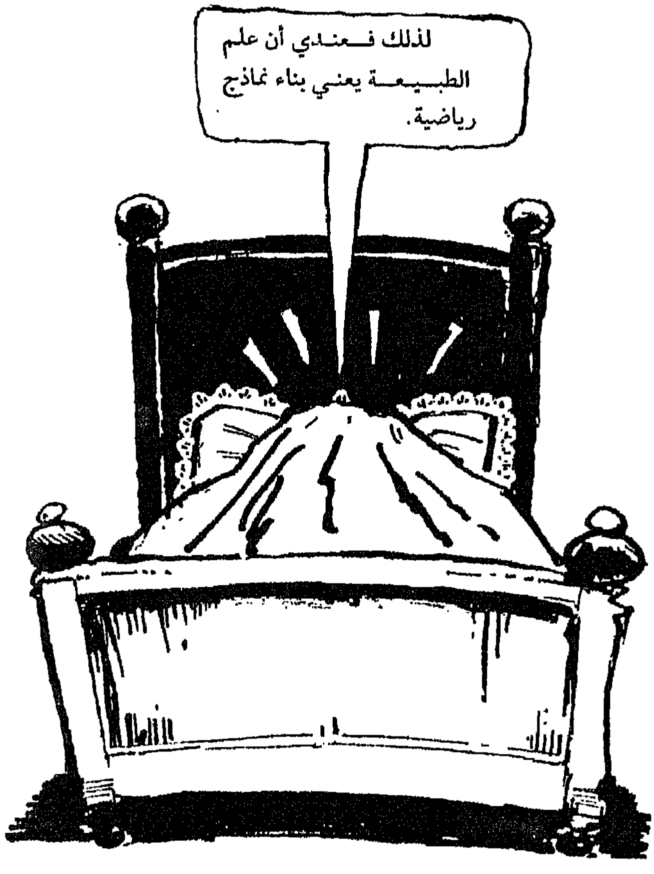
ديكارت : عالم الرياضيات : ـــ

اشتهر ديكارت كعالم رياضيات، كما اشتهر بأنه فيلسوف. وقد أطلق اسمه على «الأحداثيات الديكارتية»، وهو الذى ابتدأ مجموعة من الاصطلاحات الشائعة الآن عند الرياضيين مثل تمثيل المجهول بواسطة الحروف (س، ص، ع) وتمثيل المعلوم بأحرف (أ، ب، جـ) كما ابتكر طريقة حديثة فى التربيع والتكعيب بواسطة استخدام الأرقام كما هى الحال فى (٤ [٢]). كما دفع الهندسة التحليلية بقوة إلى الأمام، التى تعمل على حل المسائل الهندسية بطريقة أسهل. وقد بيّن ديكارت فى كتابه «الهندسة» كيف نستطيع استخدام الجبر للتعرف على كثير من المشكلات النمطية فى الهندسة، كما جمع بين الأشياء التى يمكن الربط بينها. وبسبب نجاحه فى عمل ذلك، فقد اعتقد أن كافة المعارف البشرية يمكن فى النهاية تحويلها إلى الشكل الرياضى.



صرامة الرياضيات : ـــ

فى آخر أحلامه الثلاثة الشهيرة، اعتقد ديكارت بأنه قد تجلّت له الطريقة التى يستطيع أن يوحّد بها العلم كله بهذا «المنهج» الواحد للرياضيات. فالرياضيات، لا سيما الهندسة، تزودنا بضمانات واستنباط صارم، كان بالغ الأثر على ديكارت، فلو أنك قبلت بعض البديهيات على أنها «واضحة بذاتها» فى الهندسة مثل البديهية التى تقول: «الخطّان المتوازيان لا يلتقيان مهما امتدا»، أو أن «الخط المستقيم هو أقصر مسافة بين نقطتين»، فإن من الممكن عندئذ أن تستنبط من تلك البدايات البسيطة مجموعة ثرية من المعارف الموثوق بصحتها. ومن الواضح أن ديكارت اعتقد أن مقادير كبيرة مماثلة من المعرفة يمكن أن نحصل عليها من بديهيته التى تقول: إن «المادة هى جوهر ممتد».



ولكن ما هى الرياضيات..؟

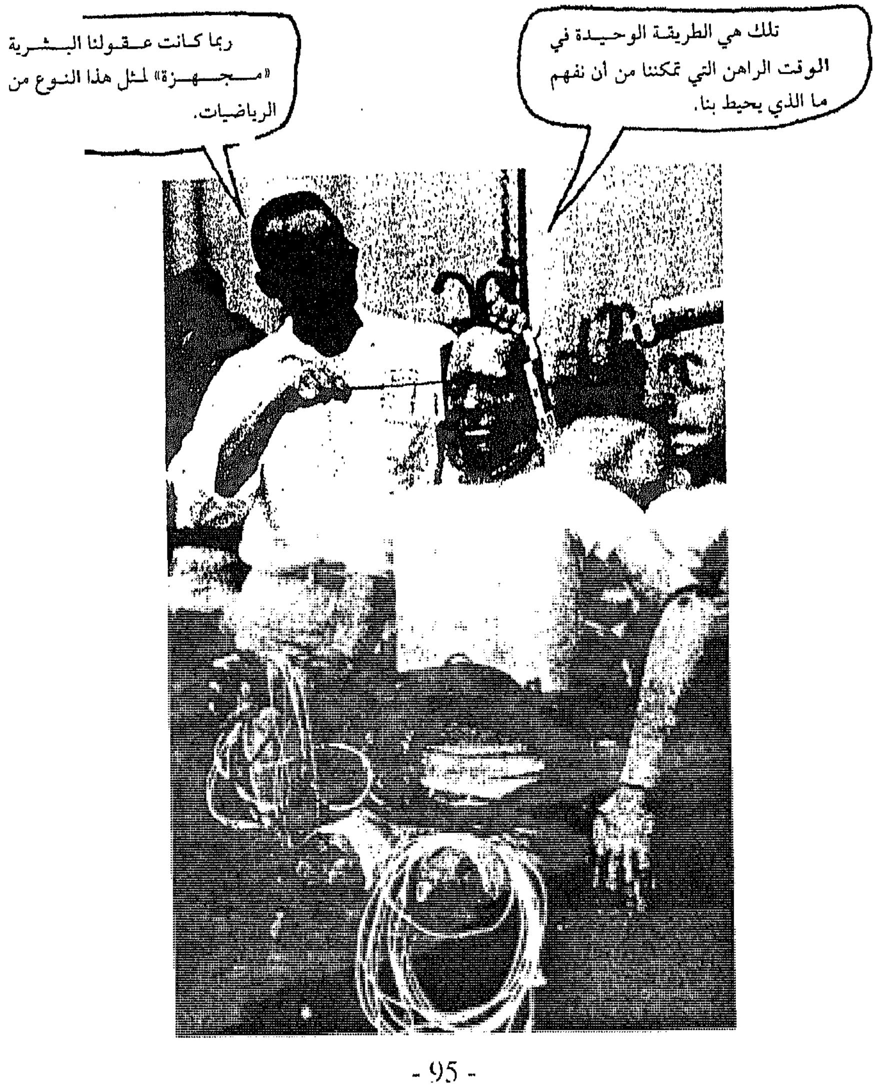
لذلك كانت الرياضيات، فيما يبدو، شاملة. وهذا هو السبب إذا أردنا الاتصال بموجودات فى مجرات أخرى، فمن المنطقى أن نرسل لها رسائل رياضية وليس رسائل لغوية.



لا أحد يعرف بالضبط ماهى الرياضيات، وبعض علماء الرياضة أنفسهم غير متأكد من ذلك. ولا يزال غير واضح ما إذا كانت الرياضيات هى شيئاً اخترعناه أم أنها شىء علينا اكتشافه.

نسبية الرياضيات : ـ

الرأى الذى أعاد تأكيد أن الرياضيات واحدة وشاملة، صادف تحدياً من ابتكارات (أو اكتشافات) حديثة لاقت قبولاً تاماً بفضل نجاح «الهندسات البديلة». فقبل ذلك كان كل إنسان يعتقد أن إقليدس (حوالى ٣٠٠ق.م) قد «اكتشف» الهندسة الوحيدة الحقيقية الموجودة فى الكون على شكل رموز. ويبدو الآن من المعقول أن نفترض أنه لا شىء كلى وشامل فى هندسة إقليدس؛ فهى قد تكون أداة بحثية بشرية محلية، تصادف أن أصبح لها معنى جيد.



الشكليون: Formalists

هذه النظرة النسبية أو «الشكلية» تذهب إلى أن الرياضيات ليست سوى ابتكار بشرى، فهى نسق مغلق «فارغ» من الاستنباطات نتجت من مجموعة من البديهيات الأولى الواضحة بذاتها. ويصرح الشكليون بأن الرياضيات لا تكشف لنا أسرار الكون وإنما هى تشبه رقعة الشطرنج ـ لعبة منظمة تنظيماً ذاتيا ومتسقًا.



لما كانت الرياضيات نسقاً «مغلقا»، فمن الصعب أن نرى كيف يمكن أن تزودنا بمعارف «جديدة» عن أى شىء آخر سوى نفسها. فالرياضيات عند الفلاسفة الشكليين يمكن فقط أن تكون مشروعة أو غير مشروعة. أما كلمات مثل «صادق» أو «كاذب» فهى لا يمكن أن تنطبق عليها.

القصة الناجحة :ـ

اتُّهم ديكارت بأنه أفلاطونى، لأنه اعتقد أن العقل قادر على اكتشاف الحقيقة العلمية ـ وقد أسس ثقته فى ذلك على الإيمان بالرياضيات. ويبدو أنه اعتقد أن كافة المشكلات البشرية يمكن فى النهاية أن تكون مشكلات رياضية. ولقد أصبحت رؤيته هذه إلى حد ما، واقعاً حقيقياً.



فى عصرنا لم يكن من الممكن لعلوم نظرية مثل: علم الطبيعة النووية، والفزياء الفلكية، وعلم الكيمياء، وعلم الوراثة، وعلم البيئة، وعلم الاقتصاد، وعلم اللغة وعلوم الكومبيوتر، ـ أن توجد بدون الرياضيات.

وفى السنوات الأخيرة من القرن العشرين، كان العلماء يعتقدون ـ ويأملون ـ أن يكتشفوا النظرية العظيمة الموحّدة لكل شيء ـ وهى (نظرية كل شيء T.O.E) وهى التى توحّد قوانين الجاذبية والمغناطيسية ـ الكهربية، والنشاط الإشعاعى، والقوة النووية الهائلة (التى تربط بين النترون والبروتون معاً داخل النواة).



الكائنات البشرية الرياضية : ـــ

لايزال العديد من علماء الرياضة يناصرون الديكارتية، وبوصفنا كائنات بشرية رياضية، فإننا نعتقد أن الكون منظّم تنظيماً رياضياً، وأنه على نمط رياضى. ويبدو لنا، حتى الآن، أنه على هذا المنوال. فعندما نبحث الجزيئات النووية الصغيرة جداً، أو الثقوب السوداء الشديدة البعد، فيبدو لنا أن الرياضيات تصف وتفسر مثل هذه الظواهر الغريبة، بوضوح وبقوة تنبؤية.



ومما يثير الدهشة أكثر من ذلك أن يجد العلماء بصورة مستمرة، أن الرياضيات الشكلية التى ابتكرها المفكرون فى السابق، كثيراً ما يكون لها فيما بعد تطبيقات«أفلاطونية» عملية.

الشكلية التى ابتكرها المفكرون فى السابق، كثيراً ما يكون لها فيما بعد تطبيقات«أفلاطونية» عملية.

جَعْل كل شىء رياضياً: ـــ

لا أحد يعلم فى الواقع على وجه اليقين ما إذا كانت «رياضياتنا» تزودنا بنماذج مفيدة توفر لنا فقط إرشادات تقريبية عما يكون عليه الكون، أو ما إذا كانت تنبئنا بالحقيقة بأكملها، لقد جعل حلم ديكارت من العلم الحديث ممكناً وقوياً بطرق لم يكن يتخيلها قط.



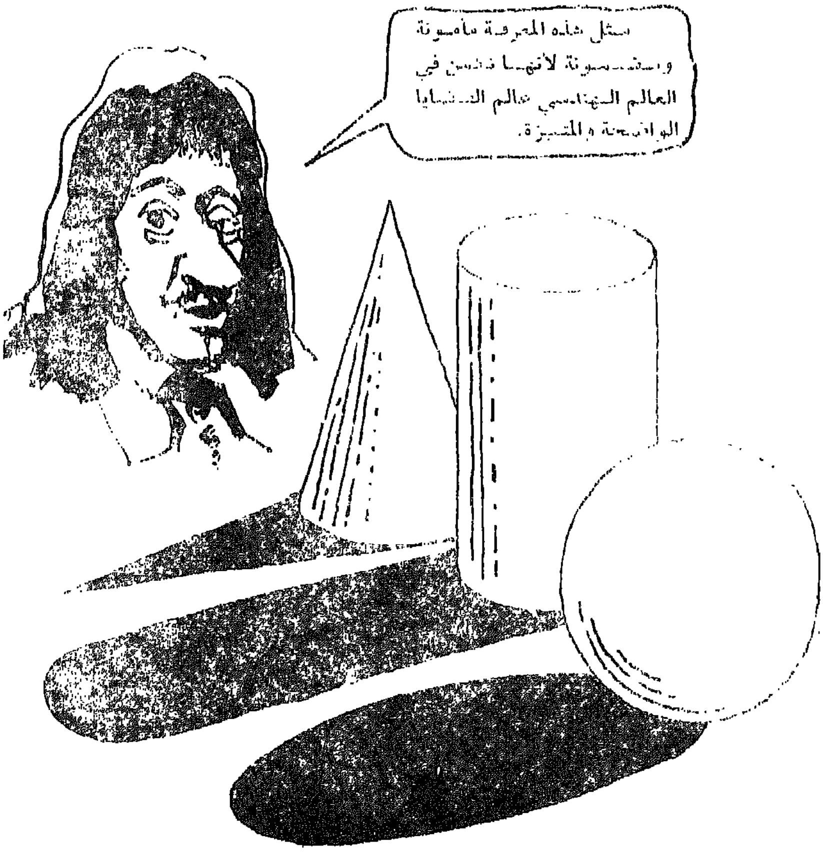
ومن المؤكد أن الإيمان الأعمى فى قوة النماذج الاستنباطية الرياضية قد أدّى بديكارت إلى العديد من النتائج البالغة الغرابة فى مجال العلوم الطبيعية.



لدى الرياضيات دور صغير تقوم به فى العلوم الإنسانية مثل: علم النفس، وعلم الاجتماع. لكن حتى الآن تبدو العواطف البشرية، والسلوك، والثقافة، والتاريخ، والحضارة ذاتها، بعيدة عن قبضة الصيغة الرياضية. (على الرغم من أن بعض الفلاسفة وعلماء الرياضة يعتقدون أنه فى يوم ما قد يكون هناك نوع من «الرياضيات اللينة» الجديدة والأكثر مرونة ـ التى قد تنجح فى أن تفعل ذلك).

الشـيء الممتد Res Extensa

أخذ ديكارت بالأفكار الفيثاغورية والأفلاطونية التى تقول: إن العالم المرئى هو مجرد وهم يخفى وراءه الحقيقة الرياضية للأشياء. لذلك ليس ثمة شيء جديد، بصفة خاصة، فى رأى ديكارت القائل بأننا لا يمكن أن تكون لدينا سوى معرفة بشيء ممتد Res Extensa (الطول، والعرض، والارتفاع للمادة التى تشغل مكاناً).



أما الخصائص مثل الصلابة واللون فهى نسبية، ولا يمكن قياسها، وهى إحساسات ذاتية تظهر فى العقول البشرية من الأشياء لكنها ليست حاضرة فيها بالفعل. ولذلك فالأشياء تمتلك «كيفيات أولية» يمكن الثقة فيها بالإضافة إلى «كيفيات ثانوية» أكثر عجباً وإرباكاً.

الكون عند ديكارت مليء، بالفعل ، بالرموز والمعلومات الرياضية، والكشف عنها هو مهمة علماء الرياضة.



وهذه الرؤية الرياضية شجعت ديكارت ليصف الكون بأنه شيء واحد هائل مفرد يشغل مكاناً، وصورته العقلية المجردة هي صورة رمادية مملة ـ كما لو كان الكون قد تمّ اختزاله إلى عقيدة رمادية متجانسة شاملة «ممتدة».

لذلك فكل شيء موجود في هذا العـالم ، بالفعل، هو عند ديكارت «شيء ممتد»، أي مادة يمكن قـياسها رياضـياً ويعرفـها الذهن البشرى على وجـه اليقين. ولقـد نتجت فكرة ديكارت عن الذهن البشرى من هذه الفكرة.

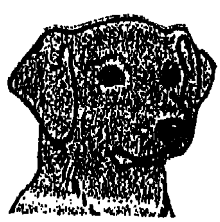


لقد اعتـقد أن هذا هو بوضوح الوضع فى كافـة الوظائف الفزيقية اللاشـعورية عندنا مـثل التنفس، وطرفة الـعين. ولقـد أدى هذا الرأى بديكارت إلى اعـتقـاد غريب ومـرعب يقول: إن الحيوانات لا وعى لها، وليست الأضوات التـى تصدرها عند تشريحها وهى حية سوى تلك الأصـوات التى يمكن أن تصدر عن الآلات عند تفكيـكها. وليست صـرخات الألم سوى أصوات آلية فحسب.

لقد كـان ذلك هو الجانب المخيف من النشـاط العقلى لديكارت. لقد نظر إلى جـميع الحيوانات والأجسام البشرية على أنها مجرد آلات حيّـة. ولهذا فقد كان يستمتع بتشريحها ليرى كيف «تعـمل» ، ولابد أنه بذلك قد أخاف بعض الجزارين فى أمستـردام الذين اعتاد أن يزور محـلاتهم يوميـاً، ويأخذ إلى منزلـه أجزاء كبـيرة من حـيوانات مـختلفة ثـم يقوم بتشريحها بعد ذلك.



ولقد كان يمـتلك أيضاً كلباً كان يطلق عليـه اسم «مسيوجـرات» ولحسن الحظ تركه سليماً دون أن يُمس.



ولما كان ديكارت مهتماً بالآلات، فقد كان لديه ذات مرة آلة مصنوعة على شكل فتاة صغيرة تستطيع أن تصدر أصواتاً تشبه أصوات البشر، وتحرك أطرافها. وقد حمل هذه الدمية العجيبة إلى الخارج في صندوق على متن سفينة. لكن ربان السفينة كان ـ لسوء الطالع ـ فضولياً متشوقاً لمعرفة ما بداخل الصندوق، وربما ظن أن ديكارت قد اختطف طفلاً.



فألقى بها خارج السفينة مقتنعاً أن هذا الشيء المرعب لابد أن يكون من عمل الشيطان. وامتعض ديكارت كثيراً.

شــىء مـفـكـر: ـــ Res Cogitans

الشىء الوحـيد الذى لـم يكن يتناسب مع الصـورة المادية التى رسـمهـا ديكارت هو الموجـود البـشـرى ـ «الشىء المفكر» ـ أو «الجـوهـر المفكر». ولا يزال ديكارت يسـتـخـدم مصطلحات مثل «الجوهر» و«الماهية» التى استـمدها من فلسفة العصر الوسيط. و«الجوهر» شىء فريد لا يعتمد فى وجوده على شىء آخر. أما «الماهية» فهى ذلك العنصر الذى يجعل الشىء عضواً فى فئة ما.



وقد تكون له خواص عَرَضية مثل الحجم ، لكن تلك ليست خاصية «أساسية» تجعله مثلثاً. وعلى ذلك فإن «ماهية» الذهن هى التفكير.

الثنائية الديكارتية : ــ

وصل ديكارت إلى فكرة أن الموجودات البشرية مكوّنة من جوهرين هما العقول الواعية والأجسام المادية. ومن ثم فهناك فى العالم نوعان من الجوهر: الذهن والمادة.



هذه الثنائية الديكارتية كانت أساسية لفلسفة ديكارت كلها. وهى تبدو مألوفة فى العالم الغربى بسبب النظرية المسيحية التى تذهب إلى أن للموجودات البشرية «أنفسًا». ولقد ظل ديكارت كاثوليكياً طوال حياته، واعتقد أنه يستطيع أن يزود نظرية الأنفس باحترام فلسفى. وحتى الأشخاص الذين ليس لديهم إيمان دينى قوى لا يزالون معجبين بهذه الصورة العاطفية والنفسية فى تشكيل الموجودات البشرية. فالكثير منا يحب أن يعتقد بأن أنفسنا خالدة ولن تفنى.

الحجة الثنائية : ـ

لم تكن فكرة ديكارت عن النفس مسيحية أرثوذكسيـة تماماً فقد استخدم كلمات مثل «ذهن» و«نفس» و«عقل» على التبادل، وهى كلها تشير إلى شىء واحـد، حتى وإنْ كانت لها مضامين مختلفة قليلاً (فكلمة النفس لا تدل دائماً عند مفكرى القرن السابع عشر على كائن خالد، على الرغم من أن ديكارت رأى أنها كذلك). فـهو يحاول فى التأمل الثانى أن يبرهن على القضية القائلة بأن الأنفس أو الأذهان تختلف اختلافاً تاماً عن الأجسام.

(فكلمة الجسم عند ديكارت تعنى شيئاً مادياً يشغل مكاناً وعلى ذلك فالجسم البشرى هو مجرد «جسم». وتسير حجته على النحو التالى تقريباً: ـ

- إننى موجود لا ريب فى ذلك (فهو أمر لا يمكن الشك فيه).
- وأن لى جسداً، ذلك أمر فيه شك (يمكن الشك فيه).
- ذلك يعنى أن وجودى مستقل عن الجسد.
- ومن ثم فإننى لا أستطيع أن أكون عـلى يقين من أننى موجود عندما لا أفكر.
- وعلى ذلك فوجودى يعتمد على تفكيرى.
- وإذن، فـأنا من حـيث الماهيـة، شىء مـفكر أى أننى نفس، أو ذهن، أو عقل.

الوجود المفكر: ـ

تعريف الموجودات البشرية هو أنها موجودات كفكر، لا أن لها وجوداً مادياً.



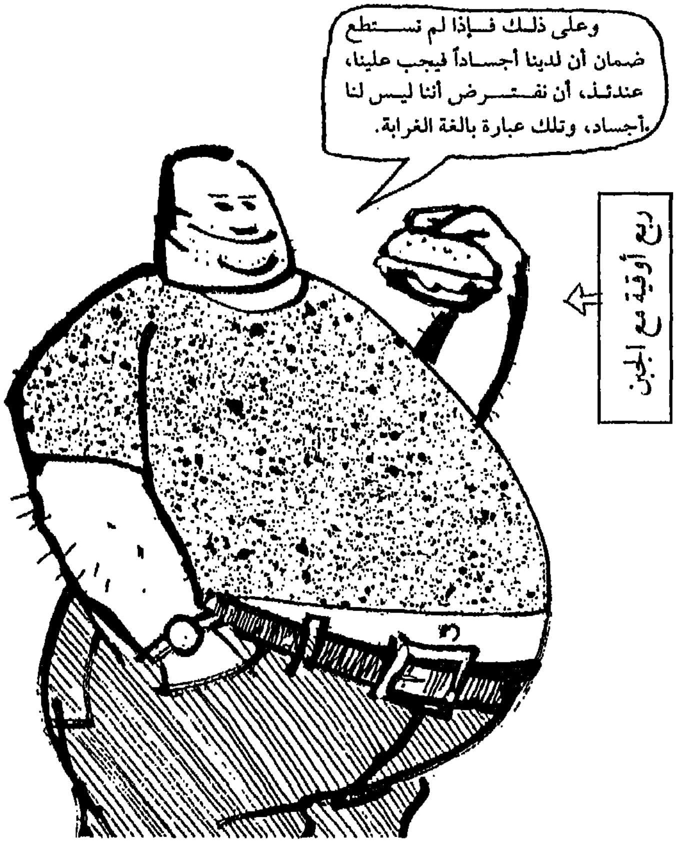
إنها حجة معقدة وهي بالأحرى لها نتائج مذهلة. وإحدى هذه النتائج أن وجودنا يعتمد تماماً على وعينا. وما إن نكفّ عن التفكير، فإننا عندئذ نختفي.



ومن ثم فإن ثنائية ديكارت تضيف وزناً جديداً إلى الفكرة المسيحية التقليدية التي تقول: إن ذواتنا الحقة توجد على نحو ما مستقلة عن أجسادنا المادية.

مشكلات مع الثنائية الديكارتية :ـ

من المؤكد ـ لكن ليس من المنطقي ـ اننا بسبب عجزنا عن الشك فإننا نفكر، لكن إذا كنا نستطيع أن نشك في أن لنا أجساداً، فان ذلك لا يبرهن على أن وجودنا منفصل عن أجسادنا، لقد ذهب ديكارت إلى أنه إذا كان هناك شيء يمكن الشك فيه، فلابد عندئذ أن نفترض أنه كاذب بدلاً من أن يكون غير مؤكد.



ولابد أن يكون ذلك أشبه بقولنا لما كنتُ أستطيع أن أشك في أن هناك حياة على الكواكب الأخرى، عندئذ فلا حياة على هذه الكواكب. إن ديكارت يستخدم فعل الشك كنوع من البرهان.

حجة أخرى : ـ

وبعد ذلك، في التأمل السادس يستخدم ديكارت حجة أخرى للبرهنة على أن الموجودات البشرية تتألف من نوعين من الجوهر، يستخدم «قاعدة الوضوح والتميز» من جديد.



وهذه ليست حجة مقنعة، مرة أخرى: بسبب الضعف الداخلي والالتباس والغموض الموجود في «القاعدة» ذاتها.

الموجودات البشرية واللغة :ـ

يعتقد ديكارت كذلك أن هناك دليلاً تجريبياً ما، على نظريته الثنائية، فالموجودات البشرية تكشف عن تميزها وتفردها بالطرق التي تستخدم فيها اللغة. فالموجودات البشرية لا تشبه الآلات المبرمجة لغوياً.



ربما قلنا في يومنا الراهن أن المرونة والإبداع اللغوي البشري «تخلو من المثير» لأنها نتيجة مباشرة للكيفية المجهزة بها أدمغتنا بفضل تطور تاريخي معقد. أما عند ديكارت فإن مرونة الاستجابات اللغوية البشرية كانت برهاناً آخر على وجود النفس الخالدة المفكرة.

أدمغة أم أذهان ؟:ـــ

إذن هل كان ديكارت على حق؟ وهل نحن أنفس خالدة؟ الوعي والتفكير عنده واضحان ومباشران، كما لو كانت أذهاننا دائماً شفافة ومعرضة للفحص. لكن ليس من الواضح على الإطلاق أن التفكير والوعي هما عمليتان غير جسديتين. إذ يقول معظم الفلاسفة وعلماء الأعصاب الآن أننا جميعاً نحتاج إلى أدمغة مادية حتى تقع هذه الأحداث.



وهذا بالفعل ما يجعل من المحتمل أن يكون التفكير شيئاً مادياً ـ عن طريق الدماغ أو المخ.

نتائج تلف المخ أو الدماغ : ــ

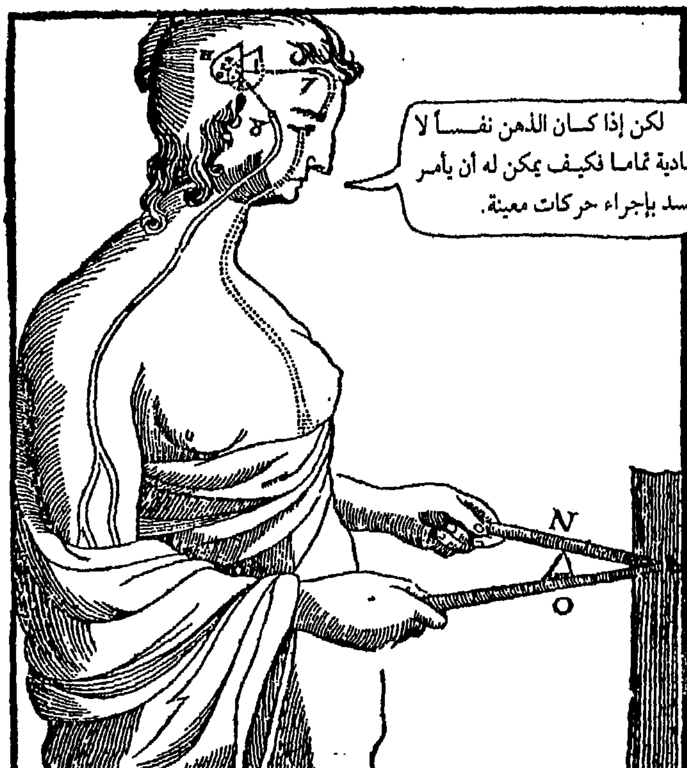
يقول علماء الأعصاب الذين يقومون بإجراء تجارب على المرضى الذين يعانون من تلف في المخ: إنه ليس لديهم شك على الإطلاق في أن الأذهان التي تقوم بعملية التفكير هي ظواهر فسيولوجية.



وهذا يعني أن أي تلف في المخ يفسد عادة، وبقدر عظيم، عملياتنا الذهنية، فإذا توقف الجسد عن الوجود، فسوف يتوقف التفكير أيضاً. ولا يوافق ديكارت على ذلك. فهو يؤكد أن الذهن أو النفس سوف يستمر في أن يكون له أفكار تصورية مجردة بعد فناء الجسد المادي والدماغ (أو المخ)، مما يعني وجود نوع باهت من الحياة الآخرة.

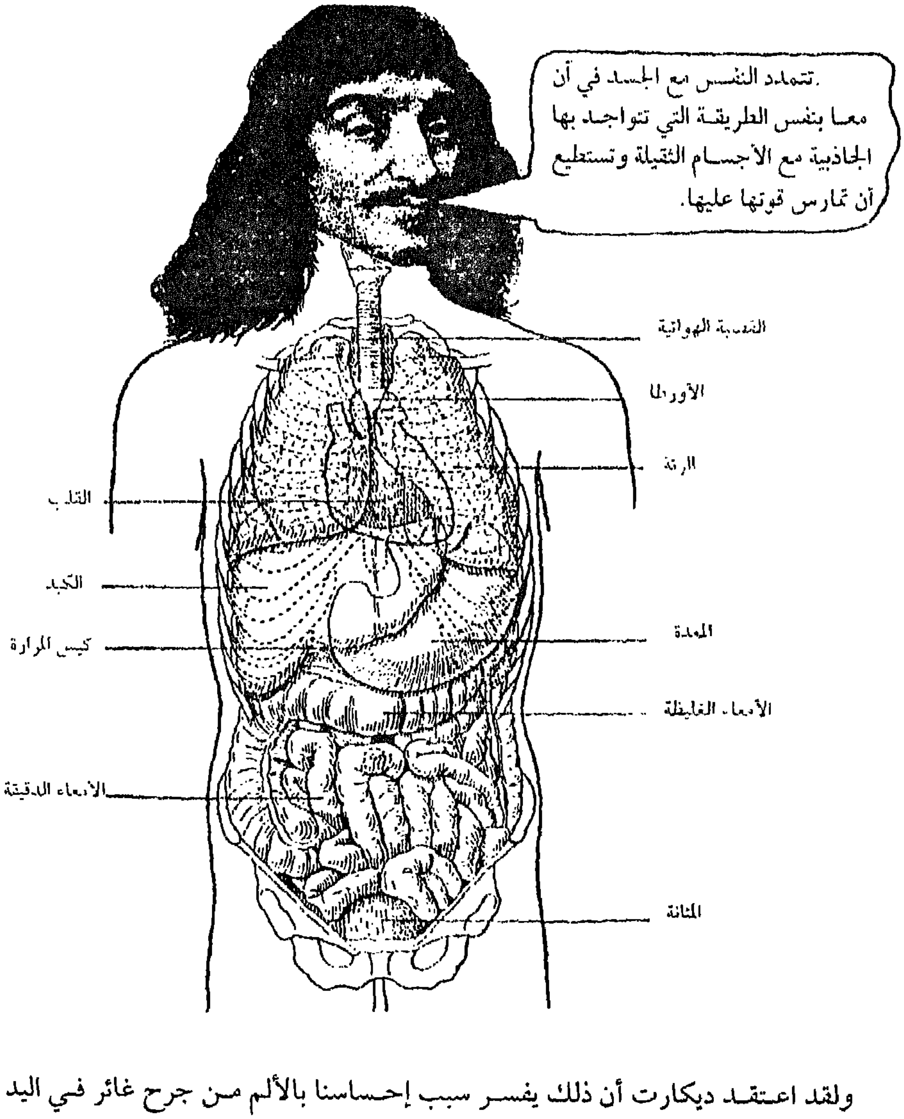
التأثير المتبادل بين الذهن والجسد : ـ

هناك مشكلة أخرى واضحة أمام الثنائية الديكارتية هي التأثير المتبادل بين الذهن والجسد، فإذا كانت الموجودات البشرية مؤلفة من جوهرين متميزين تماماً، فلا يمكن أن يكون هناك تأثير متبادل بينهما. لكن من الواضح تماماً أن الحدث الذهني أو النفسي كالاختيار مثلاً يمكن أن يتسبب في وقوع أحداث مادية (فإذا ما رغبت في قطعة من الكعك فإنك تمد يدك لكي تتناولها). وكذلك يمكن أن يتسبب الحدث المادي في وقوع أحداث نفسية أو ذهنية. (فإذا ما شعر جسدي بألم نتيجة شكّة دبوس في ذراعي، فإن ذلك يظهر بقوة في ذهني).



كيف يمكن للأفكار أن تتدافع؟ ثم كيف يمكن للأحداث المادية مثل الآلام التي يعاني منها الجسد أن تؤثر في الذهن؟ وإذا لم يكن الذهن امتداداً (أي لا يوجد في زمان أو مكان على نحو ما توجد الأجسام) فأين يمكن أن يقع مثل هذا التأثير المتبادل؟.

لقـد استـسلم ديكارت في النهاية وبحكـمة لهـذه المشكلة. لكنه حاول في البـداية أن يفسر كيف يتم التأثير المتبادل بين أذهاننا (أو أنفسنا) وبين أجسادنا المادية.



ولقد اعـتقـد ديكارت أن ذلك يفسـر سبب إحـساسنا بالألم مـن جرح غائر فـي اليد بطريقة فوريـة وقوية تماما. فنحن لا ندرك الألم البشـري بطريقة فكرية عقلانيـة بعيدة عنا، على نحو ما «يدرك» ربان السفينة الثقب في جسد سفينته.

غير أن فكرة الامتداد المتساوي هذه لابد أن تكون خاطئة، إذا كان الذهن (أو النفس) غير ممتد ولا يوجد في زمان أو مكان. وفي النهاية ذهب ديكارت إلى أنه لابد أن يكون هناك جزء في المخ يتم فيه هذا التأثير المتبادل.



لكن حتى لو كان ذلك صحيحاً ـ فإن تحديد المكان الذي يتم فيه التأثير المتبادل بين الجوانب الروحية والجسدية لا يفسر لنا كيف يحدث هذا التأثير المتبادل.

رؤية العالم وسماعه : ــ

على الرغم من التزام ديكارت، في العادة، برأيه في الثنائية، فقد كان على استعداد لتعديلها بطرق شتى. لقد أصبحت مشكلة التأثير المتبادل بين النفس والجسد أكثر وضوحاً عندما فحص أنواعاً معينة من التجارب الذهنية، كالرؤية والسمع، التي ربما اعتمدت على وجود العالم الخارجي. فقد تخيل ديكارت أن النفس أشبه بشخص صغير «أو قزم» يخبر العالم بواسطة نوع معين من العمليات الداخلية تشبه مشاهدة شاشة سينما داخلية.



وذلك تفسير مربك للسمع والرؤية، وأنه لمن عجب أن نتحدث عن إدراك هذا العالم كما لو كان عملية مشابهة لـلكيفية التي نفكر بها عن الأفكار. والأكثر ارباكا أن ديكارت كثيراً ما يتحدث عن الأفكار كما لو كانت أشياء. ومثل هذا النوع من الحديث قد أدى بالفلاسفة التجريبيين الإنجليز من أمثال جون لوك (١٦٣٢ ـ ١٧٠٤) إلى متاهة فكرية ولغوية مستحيلة لعدة سنوات.



الإدراك والتخيل : ـ

اعتقد ديكارت أن التجارب الحسية مؤلفة من عمليات ذهنية ومادية معاً، فالشك والفهم عمليتان ذهنيتان تماماً وغير فسيولوجتين، غير أن العمليات الذهنية الأخرى كالإدراك والتخيل تعتمد على تجاربنا السابقة عن العالم.



فخيالنا أكثر بطأ وأقل كفاية بسبب أنه يتضمن عمليات فزيقية عادية في المخ.



ولذلك كانت بعض الحالات الذهنية تعتمد على الجسد، لكن بعضها الآخر كالشك هي حالات «خالصة» أكثر ويمكن أن تبقى بعد وفاة الجسد.

الاختبار يفسر الإحساسات : ـ

لم تكن فلسفة الروح عند ديكارت ثنائية على نحو بسيط وصارم. فبعض عمليات التفكير ذهنية على نحو خالص، وينتمي بعضها الآخر إلى نوع آخر هجين من الفزيقية ـ والذهنية. وفي النهاية أخذ ديكارت بنوع تجريبي مؤقت أكثر إتقاناً وهو وجهة نظر «اختبارية» عن العالم والبشر الذين يعيشون فيه. فإذا نظرنا إلى ضفدعة، عندئذ تحدث عمليات فزيقية معينة في العين وفي العصب البصري وفي المخ. وسوف تخبرنا تجاربنا الحسية عن الضفدعة ما لونها، وما هي الأصوات التي تصدر عنها. وسوف يصدر ذهننا، عندئذ، أحكاماً عن شكلها، وحجمها، ووزنها.. وما إلى ذلك.



وتمر هذه الموجودات أيضاً بتجارب حسية كالألم والجوع، والصوت واللون وهي إحساسات تتألف من عناصر فزيقية ـ وذهنية في آن معاً.

في نموذج الثنائية المبكرة كانت الحيوانات، والصخور، والأجسام البشرية أشياء خاصيتها الامتداد فحسب، غير أن الموجودات البشرية تمتلك الفكر أيضاً إلا أن إحساساتها تظل بلا تفسير. فيبدو أن الرأي الاختباري أكثر قبولاً.



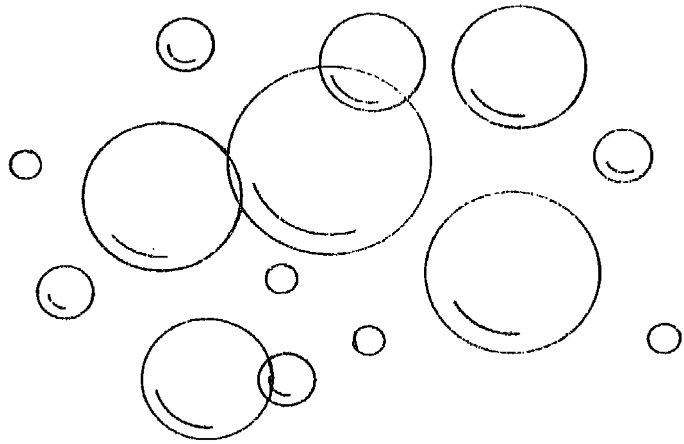
على الرغم من أن لوجهة النظر الاختبارية مشكلاتها، فإنها لا تبدو تفسيراً أكثر مرونة لما تكون عليه الموجودات البشرية بالفعل.



غير أن ديكارت لم يتابع أبدا وجهة النظر «الاختبارية» بأي قدر من الصرامة، فقد ظلت وجهة نظره الأساسية عنا هي النظرة الباردة المجردة لعقول تسكن أجساماً. ولما كنا موجودات بشرية، فإننا لسنا كذلك. بل نحن موجودات تشعر، وتتخيل وتجرب، فضلاً عن أنها تفكر وتوجد. ولا يزال «الأشخاص الديكارتيون» ليسوا ـ فيما يبدو ـ موجودات بشرية تماما بالنسبة لمعظمنا.

فلسفة الروح : Philosophy of Mind

كانت النتائج التي وصل إليها ديكارت غريبة، فقد بدأ تقريباً يضع وحده فرعًا كاملاً من الفلسفة يُعرف الآن بفلسفة الذهن أو فلسفة الروح. لكن الأذهان لا تزال مسألة محيرة، فنحن جميعاً نملك أذهانًا، رغم أن هناك قدراً من الشك حول الفترة التي نملك فيها هذه الأذهان. فلو فكرنا في الأذهان كما لو كانت أشياء مادية في العالم، عندئذ سنجد أن الكيفية التي توجد بها هذه الأذهان تمثل مشكلة كبيرة. لكن من الواضح أن الأذهان موجودة. والأذهان موجودة عند ديكارت بوصفها أنفساً، بطريقة غير ممتدة، وغير فزيقية. وهذا النوع من التفسير للأذهان عند الماديين مُحبِّط مخيب للآمال، وغير علمي وغيبي إلى أقصى حد.



فلسفة الروح موضوع معقد بحججها وبراهينها، ويمكن أن يكون فلاسفة الروح واحديين على وجه ثنائي، أو ماديين، أو من أصحاب نظرية الظاهرة المصاحبة أو نظرية المصادفات أو المناسبات، أو من أصحاب النظرية الوظيفية، أو السلوكيين، المعرفيين، أو حتى «ممن لا يُعرفون». والاتجاهات التي سار فيها هؤلاء الفلاسفة، وأنواع المشكلات التي ناقشوها ـ هي تقريباً نتيجة لاكتشاف ديكارت الأصلي: «للكوجيتو Cogito»، وأفكاره الخاصة عنه ـ والمجادلات المختلفة عن الذهن يمكن أن توصف بأنها ألاعيب يقوم بها في بعض الأحيان فلاسفة غريبو الأطوار، لكنهم يصلون إلى قلب المشكلة عن كيفية تصورنا نحن الموجودات البشرية لأنفسنا وكيف تلائم أنفسنا مع العالم من حولنا. وربما لم يقدم ديكارت إجابات مقنعة للمشكلات التي أثارها ـ لكنه بدأ فوضع جدول الأعمال.

فتح باب النقد : ـ

نشر ديكارت كتاب «التأملات في الفلسفة الأولى باللغة اللاتينية عام ١٦٤١ وهو يظهرنا، كما بينا منذ قليل، على أن ديكارت انخرط في تأملات شخصية وخاصة يومياً، حول كيفية العثور على أساس مؤكد وموثوق به تماماً للمعرفة البشرية. «فالتأملات» هي كتاب تفسيري أكثر منه مذهبي. ولقد أصرّ ديكارت على أنه ينبغي النظر إلى هذا الكتاب على أنه نص مفتوح ليشارك فيه القارئ.

«التأملات»

بقلم رينيه ديكارت هذا الكتاب سوف يغير مجرى حياتك!.



بروح الانفتاح هذه كان ديكارت يراسل عدداً كبيراً من معاصريه الذين كان لهم جميعاً وجهات نظر مختلفة عن الذهن البشري. ولقد نشر انتقاداتهم عن النظرية الثنائية وردوده عليها معاً في قسم من التأملات يُسمى «اعتراضات وردود».

الفلاسفة من أمثال «توماس هوبز» (١٥٨٨ ـ ١٦٧٩). وبيير جاسندي (١٥٩٢ ـ ١٦٥٥). ومارن مرسن (١٥٨٨ ـ ١٦٤٨) ـ نقدوا ديكارت لأسباب مختلفة، لكنه كان باستمرار على ثقة من أن أفكاره صحيحة.



مشكلة النفس والبدن : ـ

لا تزال مشكلة الثنائية الديكارتية تكمن ـ فيما يبدو ـ في عالمين: عالم الذهن وعالم البدن ـ مختلفين أتمَّ الاختلاف.



كيف يؤثـر الذهن في المادة أو كيف تؤثر المادة في الذهن؟ لقـد قدّم مـعظم الفلاسـفة نظرياتهم الفريدة: الثنائية أو الواحدية للإجـابة عن هذا السؤال. فلا شك أن مشكلة النفس ـ والبدن شغلـت أذهان فلاسفة القرن السـابع عشر انشغـالاً عظيماً جداً، فخـرجوا بحلول مختلفة ومتنوعة تبدو، في العادة، أكثر لاهوتية منها فلسفية.



بعض الإجابات العجيبة : ـ

إحدى الإجابات البالغة الغرابة هي نظرية المصادفات أو المناسبات التي قال بها وأشاعها نيقولا مالبرانش (٦٣٨ ـ ١٧١٥) فقد فسر كيف يتم التأثير المتبادل بين الذهن والبدن ـ ببساطة ـ بأن أنكر أنهما يفعلان ذلك.



الأفكار الذهنية والأفعال الفزيقية يتوافقان فحسب، لكن أحدهما لا يؤثر في الآخر.

الحل الذي قدمه اسبنوزا (١٦٣٢ ـ ١٦٧٧) هو على نفس الدرجة من الغرابة. فقد أقلع اسبنوزا عن فكرة «الجوهرين» عند ديكارت، وأخذ بالنظرة الواحدية، أو «الجوهر الواحد» فقال: بنظرية ذات الوجهين التي تؤكد أن الأحداث الذهنية والفيزيقية هي مجرد أوجه مختلفة لنفس الوجود الذي يتحول ليصبح الله.



وهذا هو السبب في أن الذهن والبدن يوجدان في حالة مستمرة من التنسيق والتساوي في الرتبة.

وقد عمد ج.ف. لينبتز (١٦٤٦ ـ ١٧١٦) إلى تعديل طفيف في فكرة مالبرانش فقال بنظرية تسمى أحياناً نظرية «التوازي السيكو-فزيقى» وشرحها على النحو التالي: تخيل أن هناك ساعتين مضبوطتين في تزامن واحد لتنبئنا بالوقت. ستبدو الساعتان كما لو أن إحداهما تؤثر في الأخرى لتنبيء بالوقت مع أن الساعتين منفصلتين تماماً. ونفس الشيء يصدق على الأذهان والأجسام التي تبدو دائماً مترابطة.



نظرية المصادفات أو المناسبات تأخذ بهذه الإجابة، لكنها فيما يبدو تعتمد على الله، بينما يذهب لينبتز إلى أن الله هو الذي يصنع التناغم والانسجام بينهما منذ اليوم الأول، ثم يكف عن التدخل.

أما نظرية الظاهرة المصاحبة فهي كذلك نسخة غريبة من الثنائية، فهي تذهب إلى أن التأثير يأخذ طريقاً واحداً فحسب، فالأحداث الفزيقية الموجودة في البدن تؤثر في الأحداث الذهنية، لكن الأحداث الذهنية لا تؤثر أبداً في الأحداث الفزيقية.



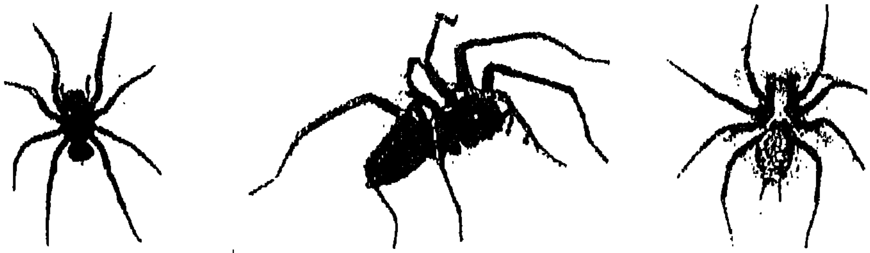
إن ذهني ليس سوى «ظاهرة مصاحبة» مناسبة وربما مريحة، وهي وجهة نظر غريبة، لأنها تعني أن الموجودات البشرية ليس لديها شيء اسمه الإرادة الحرة. وأن السببية يمكن أن تعمل في اتجاه واحد فحسب.

كيف يتطور المخ إلى الذهن؟

منذ البداية الأولى، أصاب القلق كثير من العلماء والفلاسفة بشأن نموذج الذهن عند ديكارت بسبب افتراضاته الميتافيزيقية. فالموجودات البشرية كانت من الحيوانات الرئيسية التي تطورت عبر الزمان. ولقد وجد كثير من العلماء المحدثين أن من الصعب قبول فكرة أن الموجودات البشرية هي النوع الوحيد الذي يمتلك أذهانًا غير فزيقية أو أن هذه الكائنات الروحية العجيبة قد تطورت من بدايات فزيقية.



في استطاعتنا أن نؤكد أن جميع أشكال الحياة تمتلك أنفساً أو أذهاناً بدرجة ما، على الرغم من أنه يبدو من الصعب قبول ذلك لا سيما عندما ننظر إلى أشكال الحياة الدنيا مثل العنكبوت.



لقد شهد القرن العشرون نجاحاً للعلم المادي فزعم أن كل شيء يمكن تفسيره من منظور الكائنات والقوى المادية. لكن المثير في الأمر أن الأذهان لم تُدرس بهذه الطريقة.



علماء الأعصاب سعداء عندما يتحدثون عن نقطة اشتباك الأعصاب في المخ، لكنهم يختلط عليهم الأمر بسبب الصعوبة عندما يحاولون تفسير كيف تسبب الأفكار أفعالاً فزيقية.

ما هو الوعي..؟

ينبغي أن يكون الوعي نفسه ظاهرة بيولوجية، لقد تطورنا كموجودات بهذه الخاصية. ومع ذلك فيبدو أن الأمر مختلف تماما بالنسبة لبعض عملياتنا الفزيقية الأخرى: كالنمو والهضم وهو مختلف بسبب ذاتيتها وتفردها.



ومع ذلك فيبدو من المحتمل أن عمليات المخ الفزيقي هي إلتي تتسبب في وجود الوعي، رغم أن «كيف» و«أين» يتم ذلك ما زال سراً غامضاً تماما. كما أنه لا يتضح تماماً لماذا تحتاج الموجودات البشرية إلى الوعي في المقام الأول. ويعتقد بعض العلماء الآن أن العلم ربما كان قادراً على تفسير الوعي إذا ما تحول إلى شيء مثل «نظرية الكمات» التي تنحل عندها قوانين السببية المألوفة.

جـوانـب مـن الـوعـي : ـــ

وعلى ذلك، فإن الكوجيتو يعتبر مشكلة كبرى، فمن المؤكد أنه لا يبدو «واضحاً ومتميزاً» كما ظن ديكارت. والوعي عند كثير من الناس يشبه نوعاً من «النور الداخلي» الذي يحدد: «ما الذي أشبهه أو أكونه أنا». وهناك فيما يبدو سمات أخرى مثل: الوحدة، والقصدية، والقدرة الرئيسية، والسطحية، والرغبة في إدراك الشكل، والحاجة إلى الألفة. وعندما نكون واعيين فإننا نخبر كل شيء في نفس الوقت بطريقة موحدة.



للوعي عادة مضمون أو قصدية ـ فهو يتجه نحو شيء ما.



عندما ترفع عينك عن الكتاب وتنظر إلى الغرفة فإنك تدركها ككل لا على أنها أجزاء متفرقة من الأثاث والجدران، وتعرف ما الذي تنظر إليه، لأنك تألف أنواع الأشياء الموجودة كالمقاعد وورق الحائط الملصق..

أدمغة لا أذهان : ـ

وهكذا نجد أن الوعي متعدد في إنجازاته، ـ لكن أهو كيان ديكارتي غير مادي أم أنه شيء أرضي مادي؟ يزعم كثير من علماء الأعصاب أن جميع الأحداث الذهنية يمكن تفسيرها من منظور فزيقي.



لكن مهما كانت الصعوبة في أن يفعلوا ذلك. فهناك، بطريقة ما، كثرة من جوانب المشاعر البشرية، والمعتقدات والآلام ، يبدو أنه لا يمكن تفسيرها بهذه الطريقة المختزلة. فالموجودات البشرية يبدو أنها ثنائية بطريقة لا هوادة فيها بالطرق التي يفكرون فيها في أنفسهم. وقد يزعم الماديون تفسير الذهن والتفكير، عندما يكون ما يحاولون تفسيره في الواقع هو أشياء غير مناسبة مثل خروج الوعي من الوجود.

السلوكيون : ـ

الطريقة السلوكية للخروج من «مأزق الذهن» هي الإنكار الفعلي لوجود الذهن تماماً.



أن تكون حزيناً بمعني البكاء والنواح فهو ليس حدثاً ذهنياً خاصاً. فليس هناك «الإله في الآلة»[1] على حد تعبير الفيلسوف السلوكي جلبرت رايل (١٩٠٠ ـ ١٩٧٦) فالسلوكيون يؤمنون أن تصور الموجودات البشرية على أنها «أنفس في أجساد» هو نوع من الخطأ الفاضح. تماماً مثلما نخلط بين «أيام الثلاثاء» و«المناضد».

(١) تعبير مأخوذ من المسرح اليوناني عندما كانت أحداث المسرحية تتأزم فيهبط تمثال لأحد الآلهة بحبل في سلّة لحل الموقف. وهو يعني ـ بصفة عامة ـ حل المشكلة بطريقة خرافية (المترجم).

مشاكل أمام السلوكيين : ـ

لكن لو صحَّ هذا التفسير السلوكي للموجودات البشرية، فانه لن يكون هناك فرق أو اختلاف بين شخص حزين فعلاً وشخص آخر يتظاهر أنه حزين. والشخص المشلول الذي لا يستطيع أن يعبر عن سلوكه ربما لن تكون له حياة ذهنية. كما أن السلوكيين يتجاهلون أيضاً الكيف.. فما الذي نشعر به فعلاً في حالة ذهنية معينة؟



هذا أمر غير ممكن فحسب عند السلوكيين ـ لأن الاعتقاد والسلوك مترادفان. والنموذج السلوكي غير مقنع. فالشعور بالألم شيء لكن السلوك الذي نربطه بالألم هو شيء مختلف أتم الأختلاف.

الفزيكاليون Physicalists[1]

المفكر الفـزيكالي Physicalist هو المنظِّر الذي يوحّـد بين الذهن والبـدن في هوية واحدة ويؤمن أن الأحداث الذهنية والأحداث الفزيقية شيء واحد. فإذا فكرنا في ديكارت وهو يزرع الخضروات فإن ذلك لـيس أكثر من حالة جزئية معينة من حالات المخ. والقول بأن «الذهن» و«المخ» مختلفان والحـديث عنهما بطريقـة مختـلفة يشبـه بالأحرى شخصاً يتحدث عن «الْبَرق» و«تفريغ الشحنات الكهربية» معتـقداً أنهما شيئـان مختلفان في حين أنهما شيء واحد.

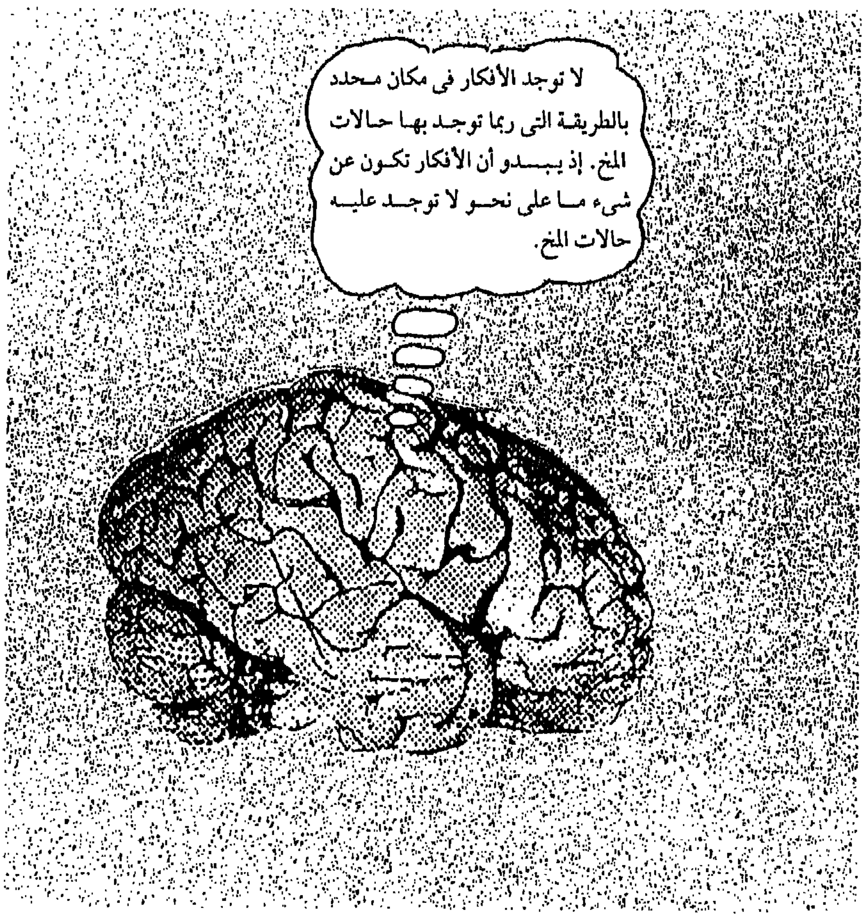


يستطيع عـالم الأعصاب، من حيث المبدأ أن يزودنـا في النهاية بتفسيـر لحالة المخ وأنا أفكر في ديكارت وهو يأكل الجزر بوصفـه «نشاطاً يحدث في القطاع رقم B ١٣٧٤ مـن المخ.

(١) هم المفكرون الذين يقولون بتسلط القوى الجسدية على العقلية (المترجم).

مشكلات : ــ

المشكلة التي تقف أمام هذا التفسير تكمن في تعبير «من حيث المبدأ» فعلماء الأعصاب حتى الآن لم يقتربوا في أي مكان من هذا النوع من المعرفة التفصيلية التي تحدد أين تقع الأفكار في المخ. ورغم ذلك فإننا جميعاً كأفراد لدينا اتصال واضح ومباشر بأفكارنا الخاصة، فالأفكار والمخ عمليات لا تبدو أنها من نوع الأشياء على الإطلاق.



والأفكار الفردية كذلك لا يبدو أنها تقبل القسمة، أو يمكن أن تقاس بالطريقة التي ربما تكون عليها حالات المخ بوصفها ظواهر فزيقية.

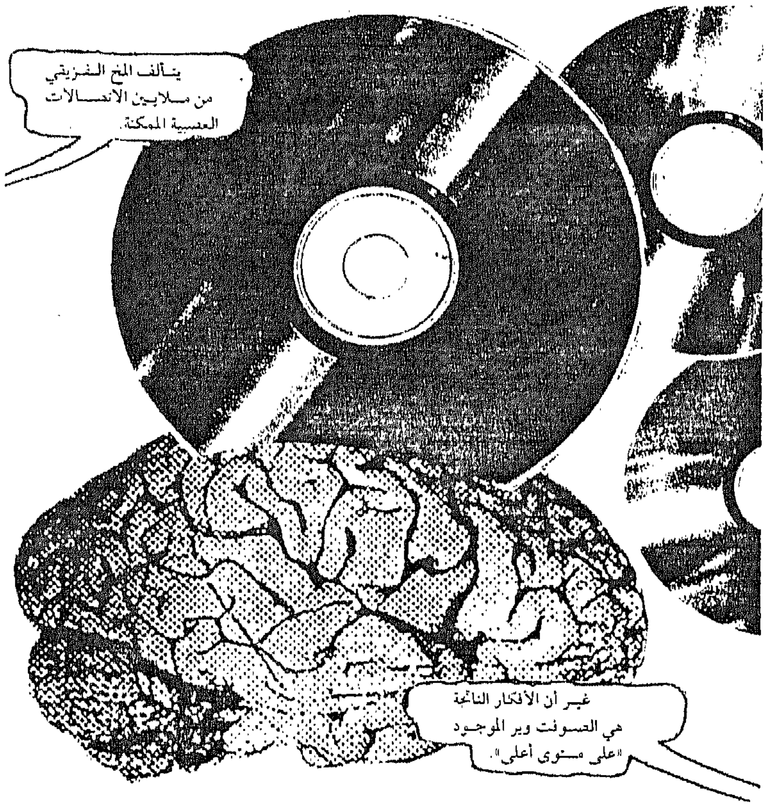
عندما نخبر مشاعرنا الخاصة كالألم والرغبة (تلك الكيفيات مرة أخرى) نجد أنها فريدة بالنسبة لنا.



تحاول نظرية الهوية الرمزية أن تدور حول بعض هذه المشكلات بأن تذهب إلى أن الأفكار الفردية يمكن أن تكون رمزية (أمثلة فردية) من نوع (الأنواع التى تتحد مع حالات المخ فى هوية واحدة). وهذا يعني أن الموجودات البشرية المتحدة اتحاداً شاملاً يمكن أن يكون لها أدمغة متحدة يوجد بها حالات المخ المتحدة. ومع ذلك فلديها أفكار مختلفة اختلافاً مطلقاً. ولو كانت تلك هي الحال عندئذ تظل العلاقة بين الفزيقي والذهني غامضة ومحيّرة تماماً.

النظرية الوظيفية : ـ

النظرية الوظيفية هي أحدث محاولة للإجابة عن المأزق الذي تعبر عنه الأسئلة الآتية: ما هو الوعي؟ وما هي الأفكار؟ وكيف يمكن تفسيرها؟ ولقد استثمرت النظرية الوظيفية مماثلة مألوفة الآن في أجهزة الكومبيور: فذهب إلى أن الأفكار البشرية تشبه «الصوفت وير Software» الذي يقوم به «الهارد وير» Hard ware ـ أو المخ البشري[1].

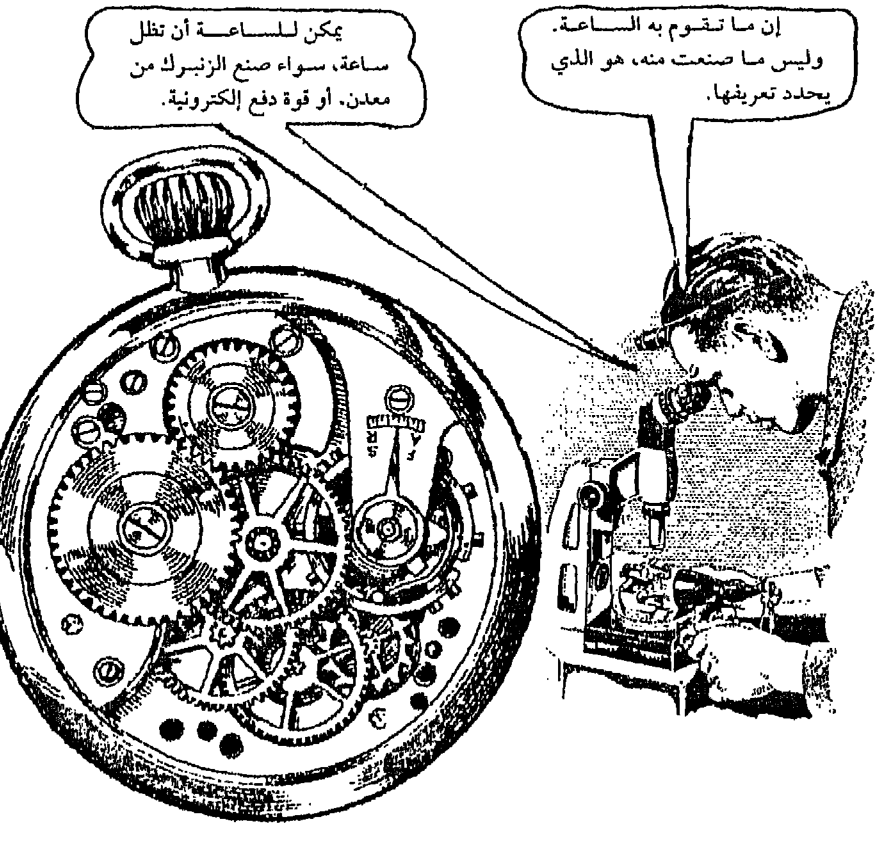


إن «الصوفت وير» الذهني هو الأمر الحاسم وليس نشاط المخ الفزيقي، والأفكار التي تشبه الصوفت وير ليس لها محل مكاني فإذا تساءلت أين توجد الأفكار، فذلك يشبه تساؤلك: أين توجد موسيقى «القداس» لموتسارت.

---

(١) تعبيرات مستمدة من عالم الكومبيتور: «فالصوفت وير» هو البرامج المعدّة للاستخدام، أما «الهارد وير» فهي أدوات الجهاز نفسه، الأولى تشبه «الأفكار» والثانية تشبه «المخ». (المترجم).

ولا يزال أتباع النظرية الوظيفية ماديون، وإنْ كـانوا يوسعون ما يُنظر إليه عادة على أنه «مادي» أو «فزيقي» بأن يضعـوا مكانه «بِنَي» أو «انساقًا»، بدلاً من المادة. ويشددون على أن كلمة «يوجـد» لا تعني بالضرورة نفس ما تـعنيه كلمات «المرئي» أو «الملمـوس». فالإفكار والوعي توجد علـى نوع من المستوى الأعلى والأكـثر تصورية. تماماً مثلمـا يوجد برنامج «الصوفت وير». والحالات الذهنية هي «ذهنية» بسبب علاقاتها السببية.



ويصدق الشيء نفـسه على الأفكار والوعي؛ فـهما معـاً موجودات في المخ البـشري. لكنهمـا يستطيعان أن يوجـدان بالمثل ـ وعلى نحو جيـد ـ عن طريق بعض الأنواع الأخرى من الوجود الغـريب، أو الآلة المتقنة المجـهزة بالنسـبة لنا تجهيزاً مختلفاً أتمّ الاخـتلاف أن «الصوفت وير» وليس «الهارد وير» هو الذي يحدد الأفكار.

مشـكلات : ـ

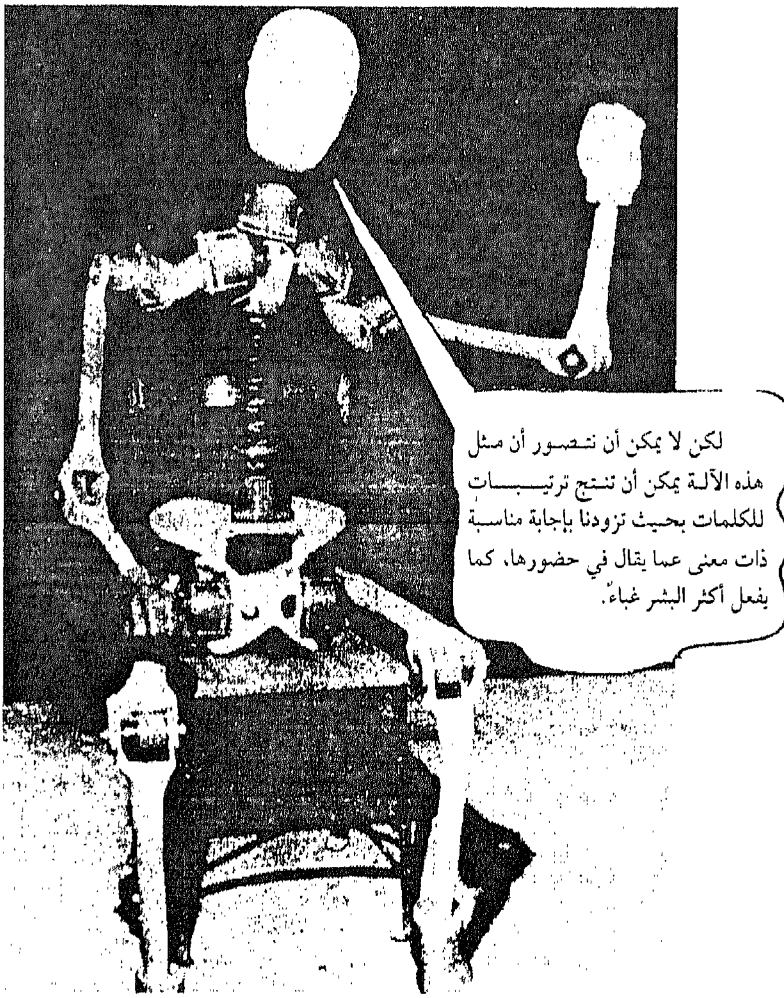
ويبـدو ذلك كله معـقولاً تمامـاً، لكن في نهاية الأمـر. لا يزال أتباع النظرية الـوظيفـية يؤكدون أن شيئاً مـا يشبه الاعتقاد البشري هو الذي يرتد في النهـاية ويختزل إلى حزمة من الأعصاب المتقدة التي تحدث النوع الصحيح من العـلاقات السببية. أن الحالات الذهنية هي حالات وظيفية والحالات الوظيفية هي حالات فزيقية.

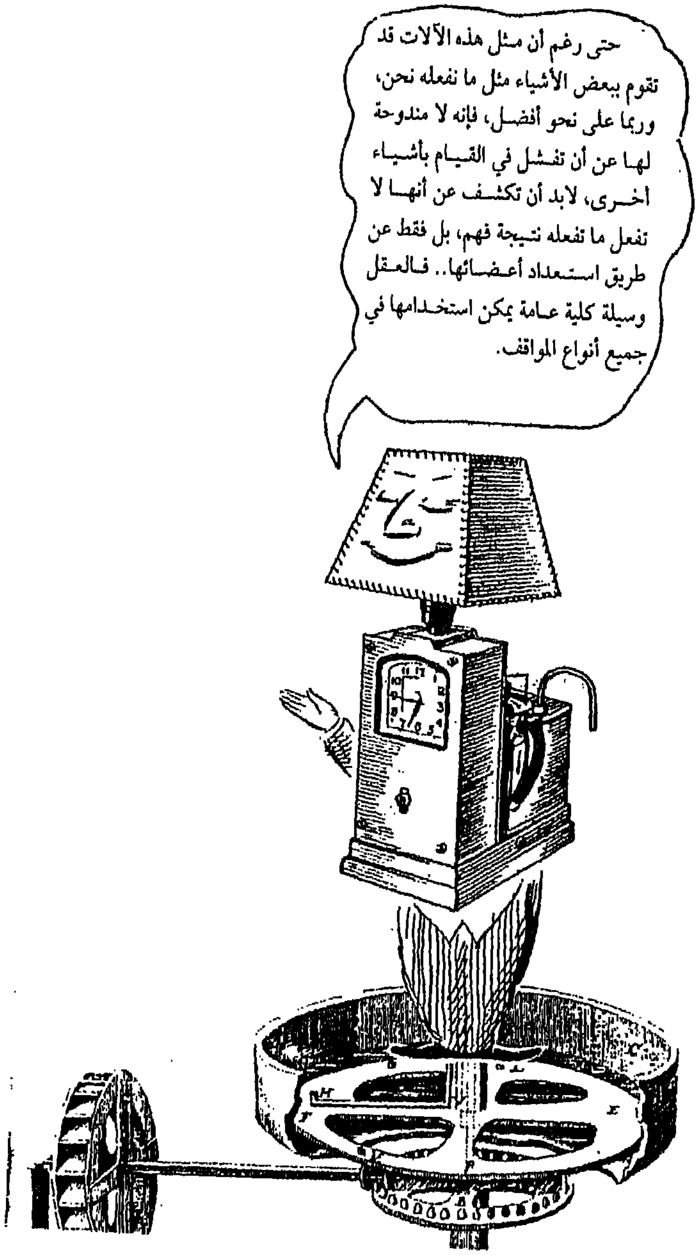


هذه المحاولة لـدفع معاني «المادي» و«الفـزيقي» إلى أقصـاها هي أن أحدث مـحاولة للهـروب من صوفـية الثنـائية وأسـرارها، ومن المشكلات الواضـحة للمـذهب السلوكي، والمذهب الفزيقي.

البشر والكومبيوتر : ـ

أثارت النظرية الوظيفية أيضاً مسألة ما إذا كان الكومبيوتر يستطيع حقاً أن يفكر ويشعر أيضاً. فإذا كان برنامج «الصوفت وير» هو الذي ينتج الوعي أو الشعور وإذا ما كانت طبيعة «الهارد وير» الفزيقي المتضمنة غير مناسبة، إذن ربما استطاع الكومبيوتر في النهاية أن يصبح واعياً. لقد كانت فكرة إمكان تفكير الآلات فكرة اهتم بها ديكارت. فقد كان يعتقد أنه ربما كان من الممكن صنع آلة ذاتية الحركة تشبه البشر، ويبدو، على السطح، أنها تفكر وتستخدم لغة تشبه لغتنا.




حتى رغم أن مثل هذه الآلات قد تقوم ببعض الأشياء مثل ما نفعله نحن، وربما على نحو أفضل، فإنه لا مندوحة لها عن أن تفشل في القيام بأشياء أخرى، لابد أن تكشف عن أنها لا تفعل ما تفعله نتيجة فهم، بل فقط عن طريق استعداد أعضائها.. فالعقل وسيلة كلية عامة يمكن استخدامها في جميع أنواع المواقف.

هل يمكن للكمبيوتر أن يفهم ؟

يبدو أن ديكارت قد توقع العديد من المناقشات الدائرة فى القرن العشرين حول الذكاء الصناعى. ومن المحتمل أنه كان سيوافق الفيلسوف «جون سيرك» (ولد عام ١٩٣٢) الذى ذهب إلى أن الكمبيوتر يستطيع التعامل مع المعلومات والبيانات بكفاءة عالية، لكنه لن يستطيع أن يفهم قط بالطريقة التى تقوم بها الموجودات البشرية.



إذا نظرنا من الخارج فيبدو كما لو أن الرجل فهم اللغة الصينية، لكنه في الواقع لم يفهمها.

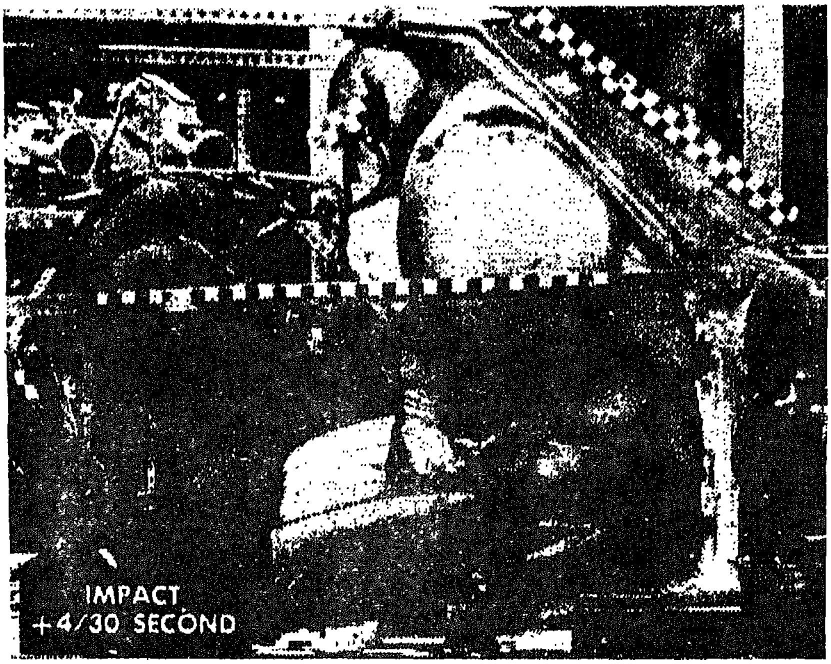


وكذلك الكمبيوتر يبدو كما لو أنه يفهم الأفكار والخواطر، لكنه لا يفعل ذلك فى الواقع. وعلى ذلك فعلى الرغم من أن التشبيه بالكمبيوتر والنظرية الوظيفية يمكن أن يزودنا بطرق جديدة للهروب من مأزق الثنائية، فإنهما لا يزالان لا ينبئان بالقصة الكاملة عن الذهن أو الأفكار، وكيف يمكن أن ترتبط بالمخ الفزيقى.



من المؤكد أن الاعتقاد يبدو غريباً ، بأن الآلة، حتى ولو كانت مجهزة تجهيزاً بارعاً بمجموعة من الدوائر الكهربية يمكن أن تمر بتجربة الألم من داخلها، وبطريقة عميقة ومزعجة، بالطريقة التى نمر بها نحن الموجودات البشرية. فالموجودات البشرية تختلف عن كل شيء آخر فى العالم، بالضبط بسبب منظورها للشخص الأول.

إننا جزء من العالم الفزيقي لكن ربما لم يكن من الممكن أن نرتد إليه كنوع من منظور «الشخص الثالث».



تبدو ظواهر الوعى والتفكير فى الوقت الراهن تجاوز إدراك كل من الفلاسفة والعلماء معاً. وكثيراً ما تبدو النظريات الحديثة عن الذهن تشبه أكثر محاولات لتجنبها بوصفها مشكلات، وربما لأنها لا يمكن حلها على الإطلاق. وربما كان ديكارت هو الذى يضحك الضحكة الأخيرة. ويبقى الكوجيتو عنده على نفس القدر من الغموض الذى كان عليه.

المبادئ : ـــ

فى عام ١٦٤٣ بدأ ديكارت مراسلاته مع الأميرة إليزابيث أميرة بوهيميا التى كانت هى نفسها تعيش فى المنفى فى هولنده. وكانت فتاة فى الرابعة والعشرين من عمرها على درجة عالية من الذكاء، أثارت ديكارت بالكثير من الأسئلة المزعجة حول رأيها فى العلاقة بين الذهن والبدن، والعقل، والعواطف، والأخلاق.

وفى عام ١٦٤٤ نشر ديكارت آخر كتبه العظيمة وهو كتابه «مبادئ الفلسفة» وفيه قدّم تفسيرات للميتافيزيقا، وعلم الطبيعة، والكون الفزيقى.



لقد رفض ديكارت بقوة كثيراً من نظرية أرسطو الغائية (التى افترض فيها أن لكل شيء علّة غائية من وجوده) كما أنه ذهب أيضاً إلى أن الأرض هى التى تدور حول الشمس، وليس العكس.

التقاعد : ـ

قام ديكارت بعد ذلك بالإشراف، على ترجمة كتابيه «التأملات» و«المبادئ» من الأصل اللاتينى. (كانت اللغة اللاتينية لا تزال هى اللغة المستخدمة بصفة عامة فى الدراسات الأكاديمية فى جميع أنحاء أوربا). وقضى البقية الباقية من حياته فى الريف الهولندى، يأكل الخضروات من حديقته الخاصة ويراسل أصدقاءه.



فى عام ١٦٤٨ زار باحث شاب يدعى «فرانز بيرمان» الـفيلسوف الذى كان فى الثانية والخمسين من عمره، ودون فى تقرير جميع محادثاته مع ديكارت.



وفى عام ١٦٤٩ كتب ديكارت آخر كتبه «رسالة فى انفعالات النفس» وهو كتاب عن «الأخلاق، والحياة الصالحة».

ديكارت والأخلاق : ـــ

مما يدعو إلى الدهشة أنه لم يكن لدى ديكارت ما يقوله فى مؤلفاته الفلسفية إلا أقل القليل عن الأخلاق والسياسة، وربما كان حكيماً فى ذلك. لكنه كان مهتماً بنوع من الحياة نحتاج إليها لتقودنا إذا ما أردنا العيش فى سعادة وهناء. لقد كان مؤمناً عظيماً بالعلم الذى كان يعتقد أنه سينفع البشر على المدى البعيد بأن يمكنهم من الحياة فى صحة أفضل وحياة أطول.



فى كتابه «رسالة فى انفعالات النفس» أكد ديكارت أن الانفعالات والعواطف كالحب، والرغبة، والكراهية والفرح.. هى خبرات تنشأ فى النفس ، لكن يسببها البدن.

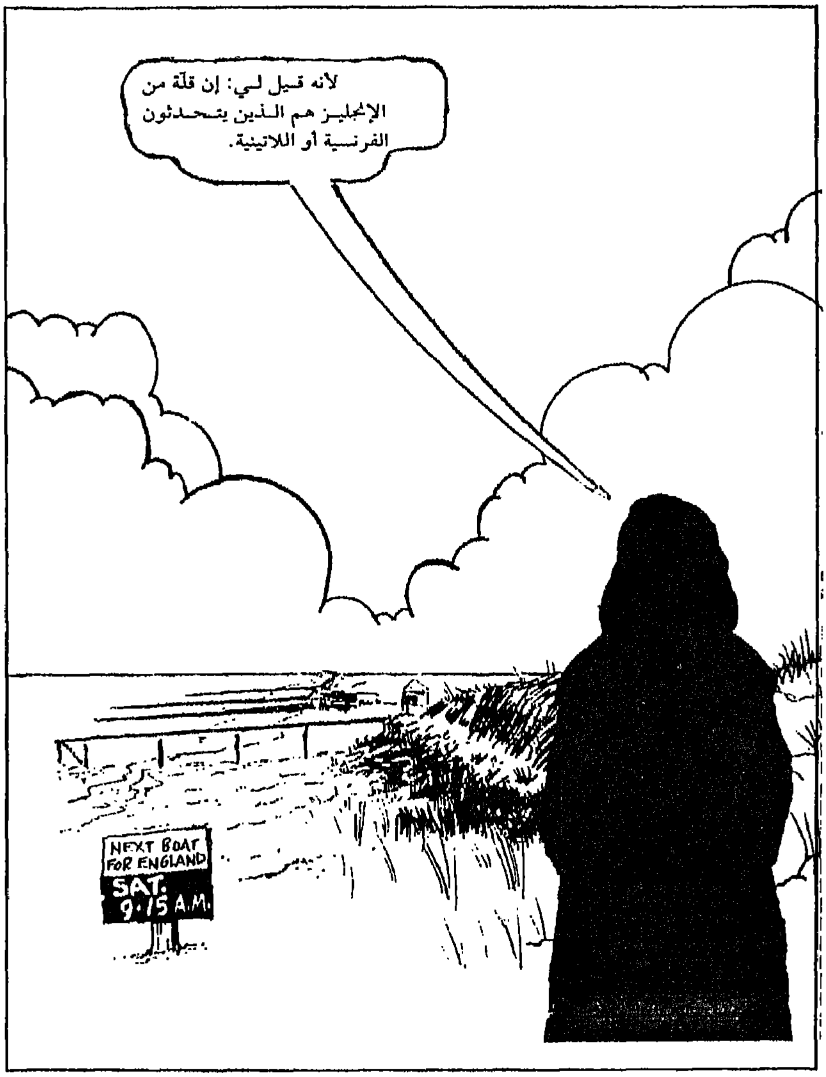
وهذا يعنى أننا لابد أن ندرب أنفسنا علـى قهر هذه الأحداث الفسيولوجية بممارسة قوة الإرادة عندنا، فإن استطعنا أن نفعل ذلك عنـدئذ لن تكون حياتنا مضطربة أبداً وسوف تزداد معارفنا بسرعة.



ويبـدو الأمر كسولا غـبيـا تماماً، وربما كـانت نظرة مسرفة فى تفـاؤلها عن طـبيـعة الموجـودات البشـرية، وعـما يسـتطيـعون إنجـازه. وفى القرون التى انقصت منذ أن أخـذ ديكارت يفكر، كانت الموجودات البشـرية، فيما يبدو، عاجزة عن السـيطرة على انفعالاتها الطاغية الهدّامة. وفضلاً عن ذلك فقد استـخدموا العقل والعلم قدر استطاعتهم لخدمة هذه الانفعالات المدمرة بدلا من السيطرة عليها.

دعوة إلى انجلترا : ـ

كان ديكارت على وشك القيام برحلة إلى انجلترا عام ١٦٤٠ بدعوة من «سير تشارلز كافنديش». وتقول إحدى الروايات: إنه قام برحلة قصيرة عام ١٦٤١ لكن ذلك غير صحيح فيما يبدو. بل يبدو أنه طرح تماماً فكرة زيادة انجلترا.



دعوة إلى السويد : ـ

ظل ديكارت يراسل «كريستيانا» ملكة السويد لعدة سنوات. وفى عام ١٦٤٩ قَبِل دعوتها ـ ربما من باب الراحة ـ ليكون معلمها الخاص فى الفلسفة. وكانت الملكة كريستيانا سيدة مثقفة غريبة الأطوار.



كانت أيضاً ممتازة فى ركوب الخيل، وتتحدث ست لغات، لها صوت رجال إلى حد ما، كما كانت تدرس ست ساعات، على الأقل كل يوم.

الرجال الفرنسيون يرقصون جميعاً : ــ

سألته الملكة بعد وصوله مباشرة تقريباً أن يرقص رقصة الباليه! لكن ديكارت رفض بإصرار.



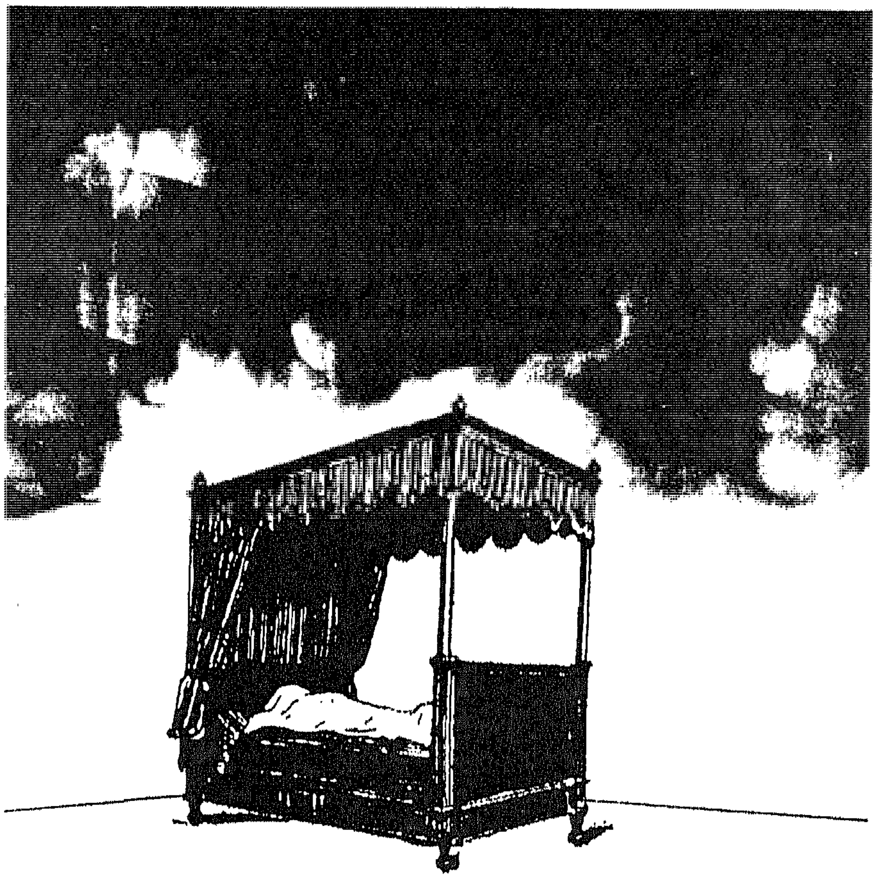
دروس فى الخامسة صباحاً :

كـان لديكارت تحـفظات علـى الذهاب إلى بلاد «تـعج بالدبـبـة، والصـخـور، والثلوج»(١).



كـان شتـاء قارس البـرودة، وكان عـلى ديكارت أن يكسر عـاداته التى اتبـعهـا طوال حياته، واضطر إلى السير إلى القصر كل صباح فى جنح الظلام.

(١) وردت هذه العبارة فـي إحدى رسائله ـ قارن د. عثـمان أمين «ديكارت» ص ٦٤ من الطبعـة السابعة مكتبة الأنجلو عام ١٩٧٦ (المترجم).



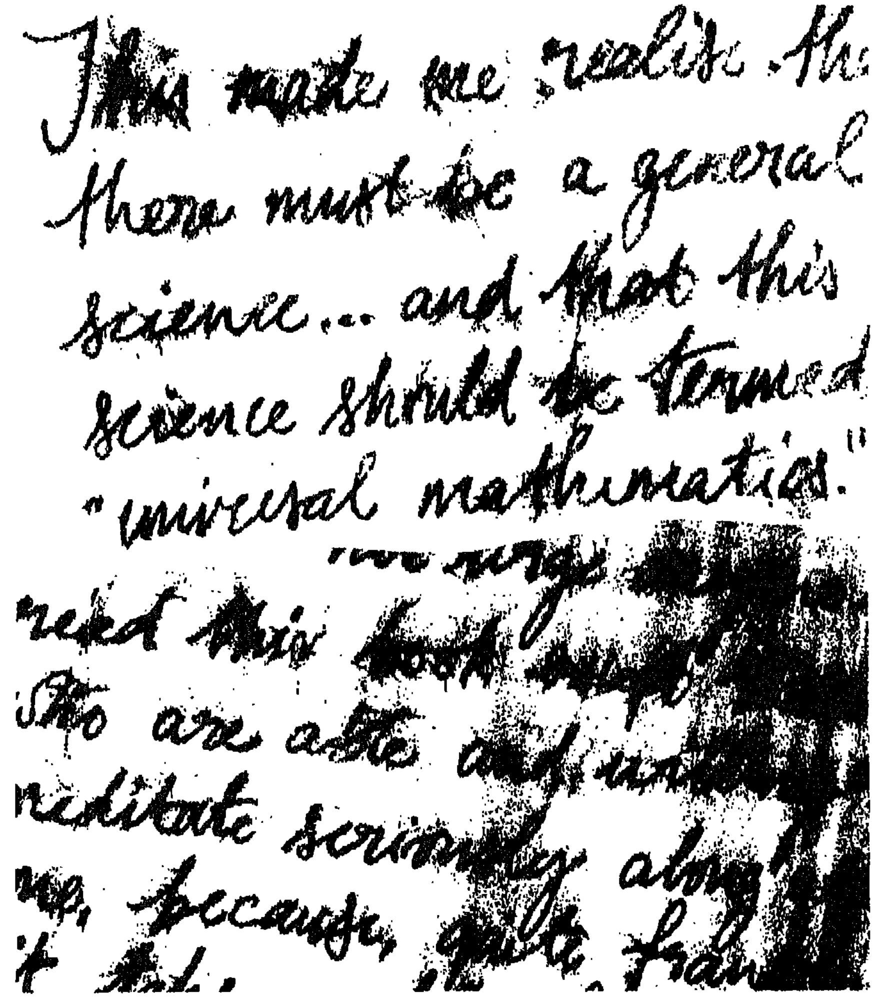
كـانت النتيـجـة أنه أصيب بـالتهـاب رئوى وتوفى عـام ١٦٥٠ بعد أشـهـر قليلة من وصوله إلى السويد. وكانت آخر كلمات ذكرها الفيلسوف قبل وفاته «تلك نفسى» وينبغى عليـها أن تغـادرنى الآن!»[1]. وبعد ثلاثة عـشر عـاما من وفـاته أدانت الكنيـسة الكاثوليكيـة الرومانية مؤلفاته ووضعتها على قائمة الكتب الممنوعة.

كان قليل الاهتمام بالمال «وكان أكثر اهتماماً بفهم المعادن وتفسيرها، أكثر من جمعها وتكديسها» فيما يقول بيليه. وعندما توفى كان فقيراً نسبياً.

---

(١) ويقـول المؤرخـون: إن الفيلسـوف تقـبل الموت في بسـاطة. وثقـة بالله، ومن غـير أسف ولا جـزع". (المترجم).

بقيت رسائل ديكارت بعـد وفاته، ذلك لأنه أخذ معظمها معـه إلى السويد وبعد دفنه عادت في قارب إلى باريس، إلا أن القارب غرق قبل أن يصل إلى غايته، فظلت مئات من رسائل ديكارت ترقد تحت الماء لمدة ثلاثة أيام.


This make me realise that there must be a general science... and that this science should be termed "universal mathematics."
[illegible]
need this [illegible]
who are able and [illegible]
meditate seriously along [illegible]
me, because, quite fran[illegible]
[illegible]

ولحسن الطـالع أعيد إصـلاح معظم هذه الرسـائل بعد تجـفيفـها ووجـد أنها لا تزال صالحة، على الرغم مما فيها من غموض وتشوش.

تراث ديكارت : ـــ

كثيراً ما يلقب ديكارت بأبى الفلسفة الحديثة لأسباب وجيهة جداً. فسوف تظل الأسئلة التى طرحها مهمة ومثيرة طالما كانت هناك موجودات تفكر فى وجودها.



لقد ساعد ديكارت فى إنتاج عصرنا الحاضر، بطرقه الجديدة فى التفكير عن المعرفة بحيث حل محل السحر والتصوف، الأنظمة العلمية والتكنولوجية فى التفكير والتحكم.

(١) ستفن هوكنج S. Howking (١٩٤٢) عالم طبيعة إنجليزي أدت بحوثه في مجال الجاذبية إلى نظرية الكوانتم في الجاذبية وإلى تفسير الثقوب السوداء التي لم تستطع نظرية النسبية تفسيرها. وقد أصدر عام ١٩٨٨ كتاباً بعنوان «تاريخ موجز للزمان» (المترجم).

أصبح العلم بعد ديكارت أكثر نسقية، وأصبح هناك اتفاقٌ عامٌ على مضمونه ومناهجه. ومن ثم فقد كان ديكارت ـ إلى حد ما ـ مسئولاً عن هذه الطرق الجديدة، نسبياً، فى التفكير، التى نسميها الآن بالطرق «العلمية» التى انبعثت بالتدريج فى القرن السابع عشر، وأسهمت فى جعل العالم الذى نعيش فيه اليوم على ما هو عليه الآن.



وعلى الرغم من أن الكون عند ديكارت كون مادي، جاف، وهندسي، فقد بقينا نحن أنفسنا موجودات روحية غير مادية.

الـفـرد المـفـكـر : ــ

من المرجح أن تظل الصـورة البـاقيـة لديكارت هى على الـدوام صورة ذلك الشـاب الذى يجلس فى غرفته الدافئة وهو يكتب ليكشف جسداً جديداً للمعرفة عن طريق التفكير فى أفكاره الخاصة.



يبدو ذلك معقولاً إلى أقصى حد. إلا أن معظم الفـلاسفة المعاصرين الآن يعتقدون أن مشروعه العظيم كان معيباً عيوباً أساسية.

الذهن فى عصر ما بعد الحداثة : ــ

لا يتقبل الكثير من الفلاسفة وعلماء النفس الآن النموذج الذى قدمه ديكارت عن الذهن بوصفه شيئاً «شفافاً»، ومن ثم فهو قابل للفحص عن طريقنا.

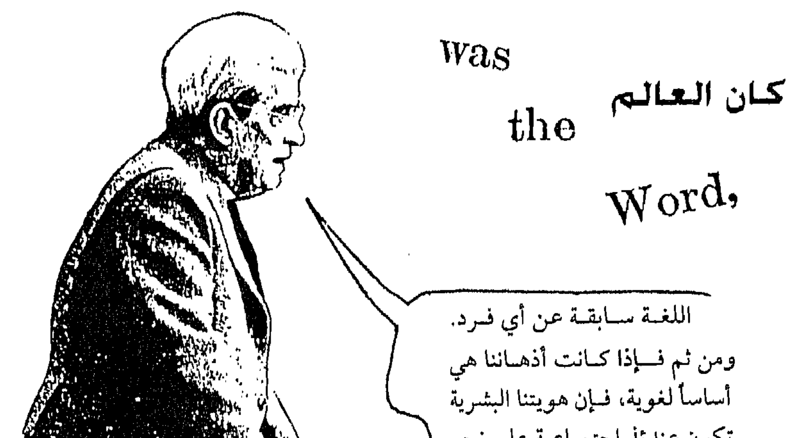


نحن حيوانات اجتماعية، ونحن نفكر بلغة عامة مشتركة، وهذا أمر يسهل نسيانه عندما نجلس لنفكر فى عزلة.

ولقد أنفق الفيلسوف «لودفيج فتجنشيننى (١٨٨٩ ـ ١٩٥١) الكثير من الوقت فى إزالة هذا النموذج الديكارتى عن الذهن وكذلك لإزالة الشك الديكارتى عن طريق بيان أنهما معاً غير مترابطين.



بعض علماء التحليل النفسى فى عصر ما بعد الحداثة من أمثال جان لاكان (١٨٠١ ـ ١٩٨١) يعتقدون أن إيماننا المشترك بذات فردية خاصة قد يكون هو نفسه وهم.



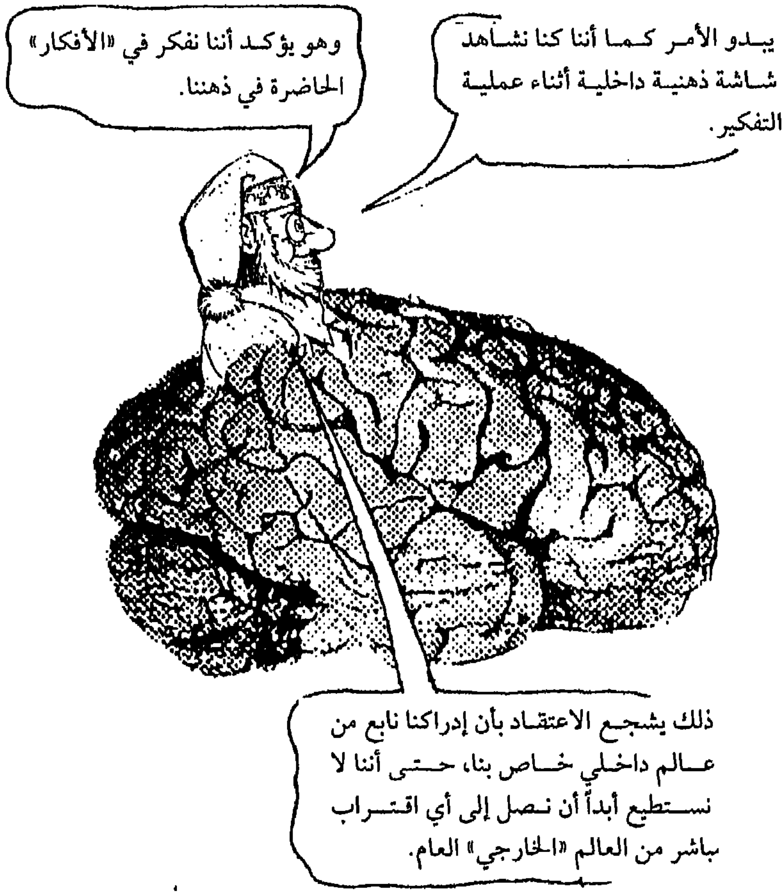
من الصعوبة بمكان الجلوس والتفكير فى أفكار خاصة أكثر مما اعتقد ديكارت. وليس من الواضح تماماً «مَنْ» هو ذلك الذى يمتلك هذه الأفكار.



ربما كانت محاولة تقديم تفسير للوعى هى نفسها مهمة مستحيلة استحالة حل مشكلة ما الذى كان موجوداً قبل أن يُخلق «الانفجار الهائل» الكون.

كيف نفكر فعلاً؟

تفسير ديكارت لمعنى التفكير والإدراك هو أيضاً تفسير إشكالي، فهذا التفسير من حيث الأساس تحصيل حاصل. فقد نسب الظواهر السيكولوچية التى يبحث عنها فى المقام الأول إلى «قزم» داخلى أو رجل صغير، وهكذا نجد أنه لم يتم تفسير شىء فى حقيقة الأمر.



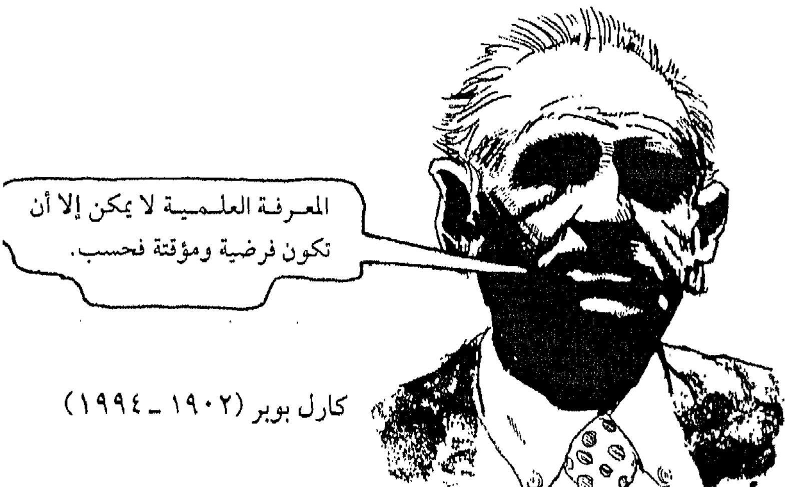
ويؤكد معظم علماء النفس أن خبرتنا بالعالم هى فورية ومباشرة أكثر مما يفترض هذا النموذج. وهم يشددون كذلك على كيف أن الإدراك نشط وخلاّق ـ فالإدراك يشبه أكثر المخ الذى يكتب قصة على نحو فورى أكثر منه برجل صغير (قزم) يذهب إلى السينما!.

المعرفة واليقين :ـ

مشروع ديكارت فى إقامة جسد نسقى جديد للمعرفة العلمية اليقينية مستمد من الأفكار الخاصة ويعبر عنه فى صورة رياضية يبدو أيضاً مشروعاً وهمياً.



ديفيد هيوم (١٧٧١ ـ ١٧٧٦)

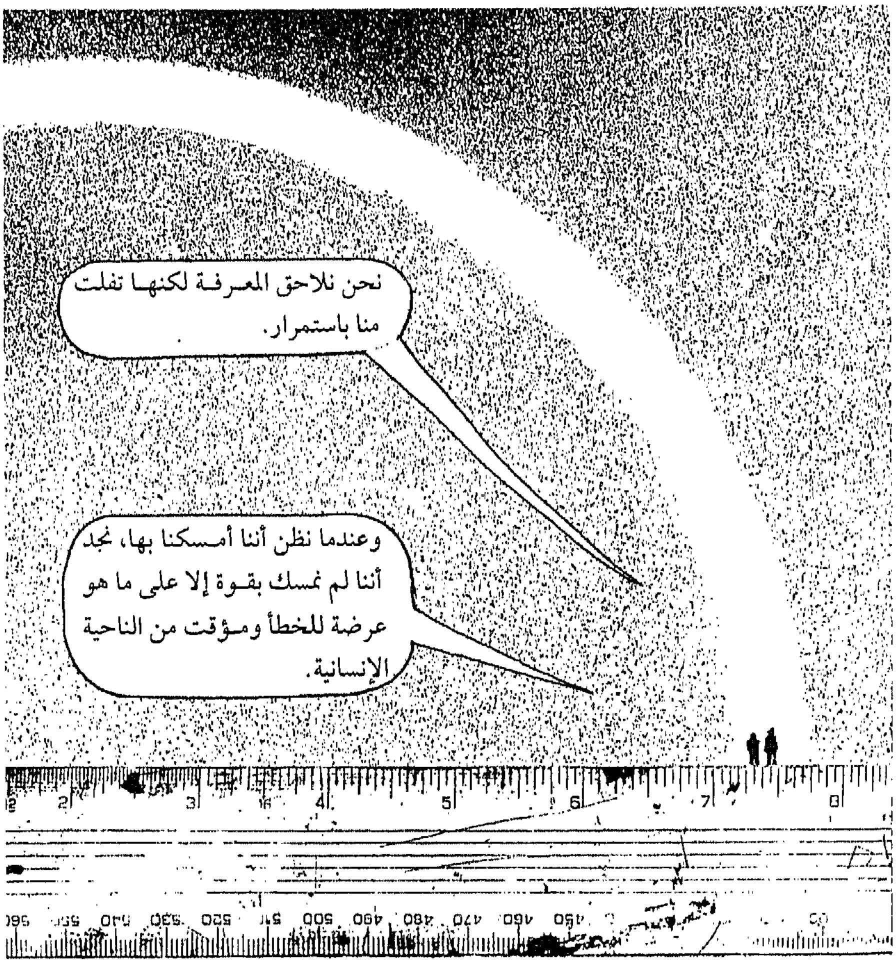


كارل بوبر (١٩٠٢ ـ ١٩٩٤)

يدرك علماء القرن العشرون، فى العادة، أن عملهم لابد أن يُنظر إليه باستمرار على أنه احتمال تخمينى فقط، وأنه لا يوجد شيء اسمه الحقيقة العلمية المؤكدة التى اعتقد ديكارت أن الذهن يستطيع الوصول إليها.

فى عصر ما بعد الحداثة : ـ

هناك فلاسفة معاصرون آخرون من أمثال «بول فيربنت (١٩٢٤ ـ ١٩٩٤) وميشيل فولكو (١٩٢٦ ـ ١٩٨٤)، يشددون على أن المعرفة العلمية هى ظاهرة سياسية وثقافية، كغيرها من الظواهر الأخرى.



لهذا فربما كان ديكارت على خطأ عندما اعتقد أننا نستطيع تماماً أن نكتسب معرفة علمية مؤكدة ومضمونة.



الشك الكلى الشامل ينبع فى عصر ما بعد الحداثة من شيطان جديد خفى أو غير مرئى تماماً ـ أما ضياع الإيمان بقدرة اللغة على التعبير عن أى شىء غير ذاتها، فتلك قصة أخرى..

niversal scepticism that is postmodernism ster
ole demon altogether – the loss of faith in the a
to anything other than itself. But that's another

m that is postmodernis

ther – the loss of faith i

than itself. But that's ar

that is post

قراءات أبعد

واحدة من أفضل سمات فلسفة ديكارت هى إمكان قراءة أعماله الفلسفية الرئيسية مرة أخرى - وهو أمر يندر أن يقال عن كثير من الأعمال الفلسفية فى القرن العشرين. فأسلوبه، و اضح ومشرق وحى. وهو يشجع القارئ ليشاركه فى أعمال ذهنه النشط للغاية، وهو يعرض فلسفته كما لو كانت سيرة ذاتية ومغامرات عقلية شخصية لا بوصفها بحوثا أكاديمية. ومن ثم فإن قراءة هذا الفيلسوف، وكذلك قراءة نقاده، هو تجربة مثيرة لها قيمتها.

هناك مختارات جيدة من أعمال ديكارت توجد فى كتاب «المؤلفات الفلسفية لديكارت التى نشرها Anscombe & Geach الطبعة لينة Neslon University الغلاف عام ١٩٧٠). وهى تشمل : -

- مقال عن المنهج.
- التأملات فى الفلسفة الأولى.
- مع «اعتراضات وردود» ورسائل متنوعة مع ملخصات من أعماله الأخرى.

وهناك ترجمة لمؤلفات ديكارت استخدمها كاتب هذه السطور فى مجلدين بعنوان «الأعمال الفلسفية لديكارت ترجمة Cottinghan (مطبعة جامعة كمبردج عام ١٩٨٥).

من المحتمل أن يكون أفضل مدخل لفلسفة ديكارت هو كتاب «ديكارت» بقلم جون جوتنجهام (Black well عام ١٩٨٦) وكذلك كتابه عن المذهب العقلى Rationalism (Paladin Granda عام ١٩٨٤ فهو كتاب مفيد للغاية.

وهناك كثير من المؤلفات النقدية الأخرى المفيدة عن ديكارت

هناك الكثير من الكتب عن فلسفة الرياضيات. وإليك بعضها:

John D. Barrow, **Pi in the** Sky (Clarendon Press, 1992).
Carl Boyer, **A History of Mathematics** (Wiley, 1995).
Davis and Hersh, **The Mathematical Experience** (Penguin, 1983), and Descartes' Dream (Penguin, 1988).
Robert Osserman, **Poetry of the Univerese** (Weidenfeld, 1995).
Ian Stewart, **Nature's Numbers** (Weidenfeld & Nicholson, 1995).

كما أن هناك كثيرًا من الكتب عن الوعى وفلسفة الروح. فيما يلى بعض هذه الكتب الحديثة : ـ

Consciousness and the Philosophy of Mind books are Published in alarming numbers. Here are a few recent ones.

Francis Crick, **The Astonishing Hypothesis: The Scientific Search for The Soul** (Simon & Schuster, 1994).
Daniel C. Dennet, **Kinds of Minds: Towards an Understanding of Consciousness** (Weidenfeld & Ncholson, 1996).
Owen Flanagan, **Consciousness Reconsidered** (MIT, 1995).
Richard Gregory (ed.) **The Oxford Companion to the Mind** (Oxford University Press, 1987).
David Hodgson, **The Mind Matters: Consciousness and Choice in a Quantum World** (Oxford University Press, 1995).
Darryl Reaney, **Music of the Mnd: An Adventure into Consciousness** (Souvenir, 1995).

The Philosophy of Science is a daunting subject, but there are two excellent introductory books on the subject.

A.F. Chalmers, **What is this thing called Science?** (Open University Press, 1980).
Anthony O'Hear, **An Introduction to the Philosophy of Science** (Oxford University Press 1990).
And for the doubters: Christopher Hookway, **Scepticism** (Routledge, 1990).

كُتب للمترجم :

أولا: التأليف:

١ ـ "المنهج الجدلى عند هيجل" طبعة أولى دار المعارف بمصر عام ١٩٦٩ ـ طبعة ثانية وثالثة دار التنوير ببيروت ١٩٩٣ (العدد الثانى من المكتبة الهيجلية) طبعة خامسة مكتبة مدبولى عام ١٩٩٦.

٢ ـ "مدخل إلى الفلسفة" طبعة أولى دار الثقافة بالقاهرة عام ١٩٧٢ ـ طبعة خامسة ١٩٨٢ ـ طبعة سادسة مؤسسة دار الكتب بالكويت عام ١٩٩٣.

٣ ـ "كيركجور: رائد الوجودية" المجلد الأول (حياته وأعماله) طبعة أولى دار الثقافة ١٩٨٢ ـ طبعة ثانية دار التنوير بيروت ١٩٨٢ (العدد الثانى من سلسلة الفكر المعاصر).

٤ ـ "دراسات هيجلية" طبعة أولى دار الثقافة للنشر والتوزيع.عام ١٩٨٤ ـ طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٩٣ (سلسلة المكتبة الهيجلية).

٥ ـ "توماس هوبز : فيلسوف العقلانية" طبعة أولى دار الثقافة للنشر والتوزيع عام ١٩٨٤ ـ طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٨٥ ـ طبعة ثالثة عام ١٩٩٣.

٦ ـ "تطور الجدل بعد هيجل" المجلد الأول " جدل الفكر" دار التنوير عام ١٩٨٥ ـ طبعة ثانية عام ١٩٩٣ (العدد ٨ من سلسلة المكتبة الهيجلية) ـ طبعة ثالثة مكتبة مدبولى عام ١٩٩٦.

٧ ـ "تطور الجدل بعد هيجل" المجلد الثانى "جدل الطبيعة " دار التنوير بيروت عام ١٩٨٥ ـ طبعة ثانية عام ١٩٩٣ (العدد ٩ من سلسلة المكتبة الهيجلية) ـ طبعة ثالثة مكتبة مدبولى ١٩٩٦.

٨ ـ "تطور الجدل بعد هيجل" المجلد الثانى "جدل الطبيعة " دار التنوير بيروت عام ١٩٨٥ ـ طبعة ثانية عام ١٩٩٣ (العدد ١٠ من سلسلة المكتبة الهيجلية) ـ طبعة ثالثة مكتبة مدبولى ١٩٩٦.

٩ ـ "دراسات فى الفلسفة السياسية عند هيجل" طبعة أولى دار الثقافة بالقاهرة ـ طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٩٣ . مكتبة مدبولى عام ١٩٩٦.

١٠ ـ "كيركجور : رائد الوجودية" المجلد الثاني "فلسفته" طبعة أولى دار الثقافة بالقاهرة عام ١٩٨٦ ـ طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٩٣.

١١ ـ "أفلاطون .. والمرأة" طبعة أولى حوليات كلية الآداب جامعة الكويت عام ١٩٩٢ ـ طبعة ثانية مكتبة مدبولى ١٩٩٦ (سلسلة الفيلسوف والمرأة).

١٢ ـ "رحلة فى فكر زكى نجيب محمود" مكتبة مدبولى ١٩٩٨.

١٣ ـ "الطاغية : دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسى" سلسلة عالم المعرفة فبراير عام ١٩٩٤. طبعة ثالثة مكتبة مدبولى عام ١٩٩٦.

١٤ ـ "معجم ديانات وأساطير العالم" (أربع مجلدات) مكتبة مدبولى بالقاهرة.

١٥ ـ " مدخل إلى الميتافيزيقا" مكتبة مدبولى عام ١٩٩٩.

١٦ ـ "توماس هوبز : فيلسوف العقلانية" مكتبة مدبولى عام ١٩٩٩.

ثانيًا: بحوث ودراسات:

١ ـ "المقولات بين أرسطو وكانط وهيجل" .. دراسة بحوليات كلية التربية بجامعة الفتح بليبيا عام ١٩٧٦.

٢ ـ "مفهوم التهكم عند كيركجور" دراسة بحوليات كلية الآداب ـ جامعة الكويت عدد رقم ١٩ عام ١٩٨٣.

٣ ـ "الهيجلية" .. دراسة للموسوعة الفلسفية (المجلد الثانى) معهد الإنماء العربى بيروت.

٤ ـ "الهيجلية الجديدة" .. دراسة للموسوعة الفلسفية (المجلد الثانى) معهد الإنماء العربى بيروت.

٥ ـ "الفلسفة الثنائية عند زكى نجيب محمود" عالم الفكر بالكويت (مجلد عشرون) العدد الرابع يناير عام ١٩٩٠.

٦ ـ "مسيرة الديمقراطية : رؤية فلسفية" مجلة عالم الفكر بالكويت يناير عام ١٩٩٤.

٧ ـ "هيباشيا: فيلسوفة الإسكندرية" مجلة عالم الفكر بالكويت.

٨ ـ "زكى نجيب محمود فى جامعة الكويت" مجلة عالم الفكر بالكويت، يناير عام ١٩٩٩.

ثالثا: الترجمة:

١ ـ "الجبر الذاتى" رسالة كتبها بالإنجليزية الدكتور زكى نجيب محمود ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر عام ١٩٧٢ ـ مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٨.

٢ ـ "العقل فى التاريخ" طبعة أولى دار الثقافة بالقاهرة عام ١٩٧٣ ـ طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٨٠ ـ وطبعة رابعة ١٩٩٣ (العدد الأول فى سلسلة المكتبة الهيجلية) طبعة ثالثة مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٩.

٣ ـ "روح الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط" اتين جلسون ـ دار الثقافة عام ١٩٧٢ ـ طبعة ثالثة مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦.

٤ ـ "فلسفة هيجل" تأليف ولتر ستيس المجلد الأول "المنطق وفلسفة الطبيعة" دار التنوير عام ١٩٨٣ ـ وطبعة رابعة مكتبة مدبولى عام ١٩٩٦ (العدد الثالث من المكتبة الهيجلية).

٥ ـ "فلسفة هيجل" تأليف ولتر ستيس المجلد الثانى "فلسفة الروح" الطبعة الثالثة عام ١٩٨٣ ـ والرابعة عام ١٩٩٣ (العدد الرابع من المكتبة الهيجلية).

٦ ـ أصول فلسفة الحق" لهيجل المجلد الأول طبعة أولى دار الثقافة عام ١٩٨١ ـ طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٨٣ ـ طبعة رابعة مكتبة مدبولى عام ١٩٩٦ (العدد الخامس من المكتبة الهيجلية).

٧ ـ "موسوعة العلوم الفلسفية لهيجل" طبعة أولى عام ١٩٨٣ دار التنوير بيروت ـ طبعة ثانية عام ١٩٩٣ (العدد الثالث من سلسلة المكتبة الهيجلية) ـ مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦.

٨ ـ "العالم الشرقى" المجلد الثانى من محاضرات فى فلسفة التاريخ لهيجل (العدد التاسع من سلسلة المكتبة الهيجلية) طبعة أولى عام ١٩٨٥ ـ طبعة ثانية عام ١٩٩٣ ـ مكتبة مدبولى عام ١٩٩٩.

٩ ـ "الوجودية" تأليف جون ماكورى سلسلة عالم المعرفة بالكويت عدد ٥٨ أكتوبر عام ١٩٨٢ ـ طبعة ثانية دار الثقافة بالقاهرة عام ١٩٨٧.

١٠ ـ "أصول فلسفة الحق لهيجل" المجلد الثانى دار التنوير بيروت عام ١٩٩٣ (سلسلة المكتبة الهيجلية) مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦.

١١ ـ "هيجل .. والديمقراطية" تأليف ميشيل متياس ـ دار الحداثة بيروت عام ١٩٩٠ ـ مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦.

١٢ ـ "المعتقدات الدينية بين الشعوب" تأليف جوفرى بارندر ـ سلسلة عالم المعرفة بالكويت عدد ١٧٣ مايو ١٩٩٣ ـ مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦.

١٣ ـ "الدين والعقل الحديث" تأليف و. ستيس ـ مكتبة مدبولى عام ١٩٩٨.
١٤ ـ "التصوف .. والفلسفة" تأليف و. ستيس ـ مكتبة مدبولى عام ١٩٩٨.
١٥ ـ "جون ستيوارت مل" أسس اللبرالية السياسية (بالاشتراك) مكتبة مدبولى عام ١٩٩٦.

رابعًا: مراجعة:

١ ـ "الموت فى الفكر الغربى" تأليف جاك شورون ـ ترجمة كامل يوسف حسين (سلسلة عالم المعرفة بالكويت عدد ٧٦ أبريل عام ١٩٨٤).
٢ ـ "الفلاسفة الأغريق: من طاليس إلى أرسطو" تأليف و. جوترى ـ ترجمة رأفت حليم سيف ـ دار الطليعة بالكويت عام ١٩٨٥.
٣ ـ "الفلسفات الشرقية" تأليف جون كولر ـ ترجمة يوسف حسين (سلسلة عالم المعرفة بالكويت).

خامسًا: التأليف بالاشتراك:

١ ـ "المنطق ومناهج البحث العلمى" للصف الثالث الثانوى ـ بتكليف من وزارة التربية والتعليم بالجمهورية العربية الليبية عام ١٩٧٧.
٢ ـ "دراسات فلسفية" للمستوى الرفيع ـ بتكليف من وزارة التربية والتعليم بجمهورية مصر العربية عام ١٩٩٢.
٣ ـ "مبادئ التفكير الفلسفى" للثانوية العامة ـ بتكليف من وزارة التربية والتعليم بدولة الكويت عام ١٩٩٨.

المحتويـــات

المشروع القومى للترجمة

١ – اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ – التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ – ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ – مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ – مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ – أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ – الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ – تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ – مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ – دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ – رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ – التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩ – الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ – ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢ - السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣ - نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤ - صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ - چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ - تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ - العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ - شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١ - الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢ - مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣ - مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ - طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧ - نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨ - الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩ - الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠ - وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ - محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ - الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥ - مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ - ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ - هوية فرنسا (مج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
٩٨ - الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ - تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ - مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١ - النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ - السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣ - قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ - أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ - الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : أشرف على دعدور
١٠٧ - صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ – ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩ – حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ – النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ – المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ – الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ – راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ – مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ – غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ – امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ – المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ – النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ – النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ – الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ – الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢ – نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ – الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نينل الكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ – الفجر الكاذب	جون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ – التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	ت : سمحه الخولى
١٢٦ – فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ – إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨ – الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ – الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ – الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١ – مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ – ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ – الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ – تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ – المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ – فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ – مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	جوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨ – عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ – پارسيڤال	ريشارد ڤاجنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ – حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١ – اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ – الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣ – قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ – صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دي ليبس	ت : على عبد الرؤوف اليمبى
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩ – الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ – ألة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ – من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
١٦٤ – شامپوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ – دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ – الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ – معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ – العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ – چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	ت : فتحي العشري
١٨٤ – القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	ت : دسوقي سعيد
١٨٥ – أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ – معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ – الأرضة	بُزُرْج علوي	ت : علاء منصور
١٨٨ – موت الأدب	ألفين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ – العمى والبصيرة	پول دي مان	ت : سعيد الغانمي
١٩٠ – محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجاني
١٩١ – الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازي السيد
١٩٢ – سياحتنامه إبراهيم بيك	زين العابدين المراغي	ت : محمود سلامة علاوي
١٩٣ – عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ – مختارات من النقد الأنجلو–أمريكي	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ – شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ – المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ – الفاروق	شمس العلماء شبلي النعماني	ت : جلال السعيد الحفناوي
١٩٨ – الاتصال الجماهيري	إدوين إمري وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ – تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية	يعقوب لانداوي	ت : جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ – ضحايا التنمية	جيرمي سيبروك	ت : فخري لبيب
٢٠١ – الجانب الديني للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصاري
٢٠٢ – تاريخ النقد الأدبي الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ – الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالي	ت : جلال السعيد الحفناوي
٢٠٤ – تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدي
٢٠٥ – الجينات والشعوب واللغات	لويجي لوقا كافاللي – سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ – الهيولية تصنع علمًا جديدًا	جيمس جلايك	ت : علي يوسف علي
٢٠٧ – ليل إفريقي	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ – شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ – السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ – مثنويات حكيم سنائي	سنائي الغزنوي	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ – فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدي عبد الغني
٢١٢ – قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ – مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد علي الناصري
٢١٤ – قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع	أنتوني جيدنز	ت : محمد محمود محي الدين
٢١٥ – سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢	زين العابدين المراغي	ت : محمود سلامة علاوي
٢١٦ – جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ – عولمة السياسة العالمية	جون بايلس وستيف سميث	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
٢١٨ – رايولا	خوليو كورتازار	ت : علي إبراهيم علي منوفي

٢١٩ – بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ – الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ – شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ – فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ – العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نفادى
٢٢٤ – دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ – حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ – أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ – المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماردنيا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ – علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ – مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمان	ت : أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ – عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ – الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ – مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ – فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ – الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ – ديوان شمس التبريزى	جلال الدين مولوى رومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ – الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ – مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ – العولمة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩ – العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر – رايوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ – الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ – فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ – سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ – تاريخ إسبانيا الإسلامية جـ١	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ – الغليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ – نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ – قصص مختارة	جابرييل جرثيا ماركث	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ – الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	وولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ – حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ – لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ – علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباظة
٢٥١ – موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٥٢ – رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ – تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ – الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ – أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦ – ديكارت	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام